عراقيون

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم
العدد (2568) السنة العاشرة
الخميس (16) آب 2012
WWW. almadasupplements.com

6
لميعة عمارة على أوتار العامية والفصحى

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

مع كاتب المقال

لميعة التي رأيتها..

زيد الحلي
صحفي وكاتب

ماذا أحكي لكم عن لميعة، ربما سطوري لا تفي بالغرض، فلأترك مخيلتكم، تحدثكم.. كانت معها كريمتها، فتاة ، مثل ملمس حرير، هادئة جداً وخجولة بشكل ملفت للنظر، عكس والدتها !!! ، كانتا مثل جبل شاهق وعين ماء رقراق في واد صغير؛ وبلحظات تمت الألفة.. والصحفي أينما يكون لا ينسي وظيفته في استنطاق الشخصيات الكبيرة التي يلتقيها، فكيف وأنا أمام السيدة الشهيرة لميعة عباس عمارة!

كان الوقت مساءً، والجو يميل إلي البرودة، لكن صوتها العذب، الرخيم، أضفى دفئاً، رائعاً علي جو غرفة الإدارة.. ثم نقلت دفئها إلي القاعة الكبري للنادي، جلست أنا إلى يسارها وإلى يمينها جلست كريمتها...

طيلة الجلسة، وبين الأغاني والموسيقيٍ العراقية، كنت ولميعة نتبادل حوارا خافتاً عن شاعريتها وخصوصياتها.. لم ألمس منها انزعاجاً، وأتذكر إنها قالت بهذا الصدد أن هذه الموسيقي والأغاني ممكن أن تسمعها في كل مكان من خلال آلة التسجيل، لكن الحديث الذاتي، الصافي من الشوائب، مع صحفي، يحظي بمحبة طائفتنا المندائية "هوٍ الأهم" ! صدقت أنا تلك المجاملة، طمعاً في حوار لمعرفة خبايا تخص شاعرة، هي واللغز صنوان لا يفترقان!

تحدثت لميعة (بحيوية امرأة في العشرين وغنج امرأة في الثلاثين وأناقة امرأة في الأربعين وثقة امرأة في الخمسين) قالت ما لم تقله ، ولولا ما أثاره في حديث الشاعر عبد الرزاق عنها وعن شعوره (الرجولي) نحوها، ما سمحت لنفسي أن أنتزع سطوراً، أردتها مخبأة في كتاب مذكراتي الذي بصدد إنجازه قريباً إن شاء الله.

اعترفت لميعة بأن حسها الإنساني، الأنثوي، كان يدرك إن عبد الرزاق يشعر نحوها بشيء ما، أوسع مدى من القرابة ! لكنه لم يجرأ أن يفاتحها بذلك.. وإن مشاعرها لم تتجه إليه. كشاب يتودد إليها، فهو بالنسبة إليها ابن عمتها، وتنتظر إليه، كأخ، صغير لكنها تستدرك وتقول بحزم واضح، وصدق أوضح أن عبد الرزاق (شاعر كبير جداً)..

وعندما ذكرت اسم بدر شاكر السيابٍ أمامها، التفتت إلى كريمتها باسمةً ، وعادت لتدير إليّ وجهها ضاحكة ، وطالت ضحكتها، وما أسعد الإنسان الذي تكون أذنه قريبة إلى ما يخرج من فم لميعة من كلام... فكيف بضحكة امرأة مثل ظبيٍّ أغن، مكحولة العينين، لها ثغر عذبْ المقبل، طيب النكهة.. ثم قالت بعد لحظات: نعم أحبني السياب وأنا التي أسماني (وفيقة) في أكثر من قصيدة شهيرة له.. وإني أسألك ، قالتها بصوت أنثوي، واثق! هل لرجل أن يشاهد لميعة ولا ينجذب إليها؟ غير أنها نفت أن تكون بادلته الحب، قائلة بهذا الصدد أن الصحفيين والوسط الثقافي، ساهم في انتشار هذه الواقعة.. وكررت : نعم أحبني، فأنا زميلته في الدراسة، إلي جانب عبد الوهاب البياتي وغيرهما، لكني أؤكد لك أن السياب أكثر عمقاً في فهم الموروث الشعري وله الريادة، سوي إني كنت ألاحظ فيه، قلق دائم، أما البياتي، فكان مجرد شخص، ساعدته الظروف ليتسلق ميدان الشعر (...) !

السر الرهيب..!

وكشفت في حديثها إليّ ، أمراً، سمعته باندهاش، فهو غير متداول في الوسط الثقافي،.. بل لم يذكره أحد من الباحثين والدارسين ،حتى من القريبين، وهنا، أعلن، بأنني تأكدت منه من ذوي الشأن، فأيده! وهذا الأمر، هو إعجاب شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري بشعر لميعة، خاصة (العامي) منه.. وإنه معجب، وهذا هو الشيء المثير، بصوت لميعة لحد العشق، حتي أنه طلب منها تسجيل قصائدها علي (كاسيت) وفعلت ذلك، وعن الجواهري، قالت: إنه لا يتكرر، متمنية له الصحة والهناء (كان الجواهري علي قيد الحياة أثناء حديث عمارة ليّ).

وشاءت الصدف، أن ألتقي بأبي فرات، شاعرنا الكبير، فنقلت له حكاية إعجابه بشعر و صوت لميعة، فأيد ذلك، وقال بصوته الساحر (صوت لميعة يحرك فيّ شاعريتي) !

وتشعب الحديث.. وتواصل مع شاعرتنا .... وهذه ساعات ليلة شتائية، تمضي بثقل، لكنها مع أم (زيدون) وهذا اسم ابنها، تمضي بسرعة.

كانت جلسة، امتدت لخمس ساعات، ولا يمكن أن تحتويها هذه الشذرات..، وهنا، ليسمح لي (أبو خالد) شاعرنا الكبير، أن أزيح ستارة عن مرحلة، انطوت، فهي لم تكن سوي مجرد ومضة في حياة لميعة، فأذكر له من مصدر شديد الوثوق إن شاعرتنا "المعشوقة" دوماً، أحبت مرة، وانتهي هذا الحب، مثل سراب صيف ! فهل (رقّ) قلبها فعلاً لشخص ما، فأجيب! نعم (رقّ) هذا القلب، لكن ، لساعات محدودة ، فقد روّت ، ما حدث بحكمة المدلهة، المحبوبة (مرة جمعنا السيد ياسر عرفات، أنا والشاعر محمود درويش، وهنا، أقول، إن وجه محمود دوريش، يحمل سحراً، لا يقاوم، ودون إرادة مني، تسمّرت عيناي علي وجه درويش وفجأةً، تنبّه محمود إلي ذلك، فقال لماذا تحدقين في وجهي، فتدخل عرفات قائلاً لمحمود بضحكته المجللة : وهل تريدها أن تحدق في وجهي؟ وتكمل لميعة رواية هذه الحادثة قائلة: في اليوم التالي لهذا اللقاء، ناولت محمود درويش قصاصة عنونتها (إلى محمود درويش) وفيها قلت:

(أزح يا حبيبي نظاريتك قليلاً لأمعن
فيك النظر
فما لون عينيك؟
هل للغروب تميلان أم لأخضرار الشجر
أحبهما، تتعري، النجوم بغير سحاب..
أريد القمر
فوالله من أجل عينيك محمود
أعشق قْصّر البصر.)

قرأ محمود دوريش بسرعة هذه الأبيات، فسأل لميعة بتهذيب عال : لماذا تناديني (يا حبيبي) وأنتِ لا تقصدينها؟

فأجابته: هكذا أنادي كل أولادي!!

××××××

بكخارج الموضوع..
داخل الرؤيا

أخيرا اقول ، لا يمكن الإشارة، أو الحديث عن الشاعرة الكبيرة، لميعة عباس عمارة، دون المرور، علي حبها الأكبر وهو العراق.. وتحديداً بغداد.. ولا يمكن لأي عراقي سوى البكاء وهو يقرأ قصيدتها (الجسر المعلق) التي نظمتها في اعقاب حرب سنة ١٩٩١ في تسعينات القرن الماضي، حيث قصم القصف الجوي هذا الجسر فحوله إلي قطعتين، قبل أن يعيده العراقيون بفترة قصيرة ، إلى سابق عهده في زمن الحصار.

يا جسر المعلق.. أو يا أحلى جسر
يحزام دجلة إيلالي حدره الماي وبوّج العصر
يمصافح الصوبين ما مل الرصافة ،
الكرخ من وكت الزغر
ظلعي أحسه المنكسر.. موش الجسر
يا جسر المعلق.. ويا أحلى جسر)

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

لميعة عباس عمارة.. وجه آخر

هدية حسين
روائية عراقية

نحن لا نمتلك بالتأكيد آلة الزمن، وهي ليست حقيقية، إنها مجرد حلم داعب وما يزال يداعب رؤوس الفنانين والحالمين، واستفادت السينما من فكرتها فرسمتها على شكل آلة دائرية أو أسطوانية معقدة التركيب، نادراً ما تذهب إلى الماضي، وغالباً ما تنطلق إلى المستقبل، ويحاول المخرج من خلالها إقناعنا بكثير من المبالغة بما كان عليه العالم أو بما سيكون عليه.

لكن الأدباء، والناس بشكل عام، يستعيرون فكرة تلك الآلة ليس بشكلها الذي رأيناه في السينما، وإنما على شكل استرجاعات تسطع بها المخيلة، فيهربون إلى الماضي ليحموا أنفسهم من أنياب الحاضر، أو ليستذكروا أياماً عزيزة على النفس لعلها تسقي واحة العمر التي أوشكت على الجفاف.

الذكريات إذن هي آلتنا، وها أنا أمتطي صهوتها وأعود لأيام لها طعم الأحلام الجميلة، وأحط في الإعدادية المركزية للبنات في شارع الجمهورية وسط بغداد.

كان صباحاً خريفياً، والسنة الدراسية في أيامها الأولى.. أخبرتنا مدرّسة اللغة العربية التي نعرفها من السنة الماضية، أن مدرّسة جديدة ستحل محلها، ولأننا نحب مدرّستنا فقد حدث هرج واحتجاج، حاولت تهدئتنا بأنها ستأخذ حصة درس الدين، لكننا لم نهدأ لأن هذه الحصة تدرَّس مرة واحدة في الأسبوع، وهذا يعني أننا سنُحرم من مدرستنا المحبوبة خمسة أيام أسبوعياً.

اقترحت إحدى الطالبات أن يكون الدين من حصة المدرّسة الجديدة، لكن مدرّستنا قالت إننا نطلب المستحيل، لأن المدرّسة الجديدة صابئية، وبذلك أسقط في يدنا.. وقررت أكثر من طالبة بأنها ستطفش المدرّسة الجديدة، ليس بسبب اختلاف الدين طبعاً، وإنما بسبب تعلقنا بمدرّستنا.

في صباح اليوم التالي، ساد بيننا وجوم وحزن، وبعد دقائق أطلّت المدرسة الجديدة.. امرأة فارعة الطول، واسعة العينين، أنيقة بشكل مفرط.. ألقت تحية الصباح وراحت تتحدث إلينا..كان لها صوت ساحر، تتحرك برقة وتتكلم بعذوبة.. لم تُحْدث طوال وقت الدرس أية جلبة، بل كنا منصتات بشكل عجيب ومأخوذات بهذه المرأة.. طرحت علينا طريقتها في التدريس التي لا تشبه أية طريقة عرفناها، فأخبرتنا أن درس الإنشاء سيكون كتابة بحوث عن الأدباء والمفكرين طيلة النصف الأول من العام الدراسي لكي يتسنى لنا تقوية ملكتنا اللغوية.. وحينما أعلن الجرس نهاية الدرس قالت: اسمي لميعة عباس عمارة.

وما إن خرجت، حتى رحنا ننظر إلى بعضنا بعضاً إعجاباً بهذه الشخصية التي سحرتنا، والتي أصبحت في ما بعد مثلنا الأعلى في كل شيء، بل بتنا نقلد طريقتها في الحكي، ونتسابق لإبراز أفضل ما لدينا.

كنت الوحيدة في ذلك الوقت التي عقدت معها صداقة امتدت إلى ما بعد الثانوية بسنوات طويلة لم يقطعها سوى تغرب الشاعرة.. كانت تدعوني إلى بيتها وتقرأ على مسامعي الشعر وتحدّثني عن قصص الشعراء وتستمع إلى قصائدي.. وكان لتشجيعها لي ما دفعني للمشاركة في مسابقة الشعر التي أقامتها وزارة التربية لثانويات بغداد من البنين والبنات، ففزت بالجائزة الأولى.

أتذكر بيتها المرتّب بكل تفاصيله وأركانه وحديقته الغناء، وتلك الزاوية التي أعدتها ابنتها طيبة تحت الدرج، وخصصتها لصور أمها وقصائدها، وأطلقت عليها الزاوية الخالية ، وهو اسم المجموعة الأولى للشاعرة.. لا أدري كيف هي الآن، هل ما يزال الشعر ينبض في جنباتها، أم إنها شاخت حزناً على فراق صاحبته؟ وكيف هي شجرة التين وأزهار الجوري والرازقي، أم تراها ذبلت ولم يعد من أثر لها؟.

هذه المرأة الصابئية، هي التي جعلتنا نبحث عن الجمل المفيدة ونستخرجها من القرآن، وليس على طريقة: ذهب فلان وجاء فلان، واشتريت كذا وكذا.

كانت تقول: اقرأوا قرآنكم وتعلموا منه، واقرأوا نهج البلاغة وتعلموا كيف تُكتب الجملة وكيف تُقرأ.

أسترجع تلك الأيام الممزوجة بتطلعاتنا نحو مستقبل كنا نظن أننا نحدد شكله ونبنيه بالشعر والتجارب العاطفية المتوهجة، وبمثلنا العليا التي لا نراها على شاشة السينما، وإنما داخل أسوار المدرسة.

لميعة عباس عمارة ليست شاعرة مثل كثير من الشاعرات، وليست مدرّسة تتقيد بمنهاج معدٍّ سلفاً قد لا يرضي طموحنا ولا يلبي رغباتنا، إنها المرأة التي فتحت عيوننا على حياة أوسع من صفحات الكتب، وجعلتنا نعشق الشعر ونقرؤه بإحساس مختلف، إحساس من فتح قلبه للحياة وتأمل سرّ جمالها.

كانت تكتب القصيدة على اللوح لنقرأها، ثم حين تطلب قراءتها ثانية فإنها تقوم بحذف الشطر الثاني من البيت قبل أن تقع العين عليه لكي تمرّن ذاكرتنا على الحفظ.

أهدتني ديوانها أغاني عشتار ، وكتبت عليه إذا قُدّر لك أن تكوني شاعرة معروفة فليرحمك الله ولتكوني أحسن حظاً من مدرّستك ، ويومها استغربت وتساءلت: كيف يمكن لهذه المرأة الشاعرة الجميلة المعشوقة الأنيقة أن تكون غير محظوظة؟.

كلٌ منا، نحن الطالبات، كانت تتمنى أن تكون مثل لميعة عباس عمارة، برقتها وشاعريتها وشخصيتها القوية، لكن لم يتوفر لأية واحدة منا أن تكونها.

لميعة عباس عمارة تكتب الشعر الشعبي بالرقة نفسها التي تكتب فيها الشعر الفصيح، ولها مجموعة في ذلك، غنى لها المطرب فاضل عواد أغنية أشتاق إلك يا نهر لخصت فيها حنينها لنهر دجلة.. وغنى لها سعدون جابر أرقّ كلمات الغزل.

طُلب منها المقارنة بين شعرها وشعر ابن خالها عبد الرزاق عبد الواحد فقالت: هو أقوى وأجزل، وأنا أرق وأغزل.

لم تتسلم وسام الأرز الذي مُنح لها، فقد كانت الحرب الأهلية في لبنان قائمة فقالت:

على أي صدر أحط الوسام
ولبنان جرح بقلبي ينام؟ .

دعتني مرة إلى بيت ابنها زكي، وكانت في زيارة لبغداد، وأعدّت وجبة نباتية لم أعرفها من قبل ولا أتذكر ما اسم ذلك النبات الذي يشبه الزهرة ذات الرؤوس الإبرية، التقطتْ إحدى الزهرات بالملعقة وأصرت على أن تطعمني بيدها، قالت إنه مفيد لخلايا البشرة، فابتلعته وكدت أغص، لكنني لم أشعرها بذلك خجلاً منها.

في الملتقى الذي دعتني إليه العام الماضي الأديبة كوليت خوري، كان من المقرر أن تحضر لميعة عباس عمارة، وكان قد مر ثمانية عشر عاماً على آخر لقاء بيننا، فقررت أن أقدم عنها هذه الحزمة من الذكريات، غير أنها بعثت برسالة اعتذار بعد أن كانت تعد العدة للسفر.. قالت في الرسالة: في طفولتي كنت ممنوعة من السفر بسبب الفقر.. وفي شبابي مُنعت من السفر بأمر الحكومة.. وأنا ممنوعة الآن من السفر بأمر الطبيب .

كانت ذات مرة على موعد مع الشاعر نزار قباني، وحين حضرتْ قالت له: جاءتك ثلاث مراهقات ، كانت تقصد أن عمرها في ذلك الوقت يساوي عمر ثلاث مراهقات، لكن الشاعر راح يتلفت من حوله.

أيتها الجميلة، يا أميرة العشق والعذوبة، يا نخلة العراق السامقة، الحاضرة في الغياب، ستبقى زاويتك خالية حتى تعودي مثل عودة الربيع تغنين لبغداد أغاني عشتار بنكهة عراقية ، وهذه المرة سينبئك العراف بأن تلميذة من تلميذاتك، ورغم البعد الأخير ، ما تزال تشعر بالدفء كلما تذكرتك وأنت على هذا البعد الشاسع وبرودة سان دييغ

في صباح اليوم التالي، ساد بيننا وجوم وحزن، وبعد دقائق أطلّت المدرسة الجديدة.. امرأة فارعة الطول، واسعة العينين، أنيقة بشكل مفرط.. ألقت تحية الصباح وراحت تتحدث إلينا..كان لها صوت ساحر، تتحرك برقة وتتكلم بعذوبة.. لم تُحدث طوال وقت الدرس أية جلبة، بل كنا منصتات بشكل عجيب ومأخوذات بهذه المرأة.. طرحت علينا طريقتها في التدريس التي لا تشبه أية طريقة عرفناها، فأخبرتنا أن درس الإنشاء سيكون كتابة بحوث عن الأدباء والمفكرين طيلة النصف الأول من العام الدراسي لكي يتسنى لنا تقوية ملكتنا اللغوية.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

لميعة عباس عمارة

الشاعرة الكبيرة

د. قصي الشيخ عسكر

مقدمة

لاأحد ينكر أن هناك مثلثا شعريا عظيما رسمه الشعراء الكبار السياب و البياتي فبلند في الوقت نفسه يقابل ذلك المثلث مثلث الشواعر الكبيرات نازك وعاتكة فلميعة ، وهذا امتياز يسجله العراق وحده من دون أخواته سائر البلدان العربية إذ لم يجتمع في زمن واحد في دولة عربية ثلاثة شعراء رواد كبار مع ثلاث شواعر رائدات إلا على أرض الرافدين، وإذا كانت الشاعرة نازك تغمدها الله بواسع رحمته قد كتبت في الشعر العمودي والحر لكن شعرها العمودي لايرقى إلى مستوى تجربتها الجديدة وإذا كانت عاتكة الخزرجي رحمها الله لم تجرب قط تجربة الشعر الحر بل أعرضت عنه و التزمت العمود وحده فابدعت فيه فإن لميعة عباس عمارة أطال الله في عمرها كتبت في الأثنين فأبدعت وقدمت شعرا ذا طابع خاص بها نابع عن تجربة رائدة فريدة.

نازك فذة في الشعر الحر
عاتكة شاعرة عمود ممتازة
لميعة أبدعت في الحقلين معا

وهنا قبل أن أدخل في المقال الذي هو عبارة عن ذكريات أود أن أبين أن السداسي العظيم الذي تولى مسؤولية التجديد في الشعر العربي المعاصر مثّل أطياف الشعب العراقي الكبيرة تقريبا، فالسياب والبياتي من العرب السنة – ربما البياتي من أصول تركمانية كما يظن بعضهم- وبلند كردي، ليس كرديا فيليا كما يعتقد بعض الناس فجده كان شيخ إسلام زمن الدولة العثمانية ونازك وعاتكة كانتا عربيتين شيعيتين ولميعة عباس عمارة من المندائيين الصابئة وهي ذات معرفة واسعة باللغة المندائية ومدرسة للغة العربية." عندما كنت في المرحلة الثانوية كنت أتابع مقالات لها في مجلة النفط عن اللغات القديمة"

المقال:

في عام ١٩٩٦ حضرت مهرجان البابطين في أبي ظبي كان كرسيي مصادفة جنب كرسي لميعة عباس عمارة فرأيتها تتخذ موضعا أقرب ما يكون ظهرها باتجاهي ووجهها من الناحية الأخرى قالتفت إليها وقلت:

من الأصول أن يكون وجهك نحوي فنحن الآن جيران!

فابتسمت وقالت بطيبة قلب كأنها تعرفني منذ زمن بعيد:

معك حق " وضحكت ثم أردفت "

المشهد حدث لي بالضبط مع نزار قباني كان موضعه جنبي لكنه جلس ووجهه باتجاه الناحية الأخرى فقلت له من الأصول أن لاتعطي ظهرك إلى الآخرين عندئذ التفت نحوي قائلا: سيدتي صدريً أجمل، فبسطت يدي ورفعتهما نحوه وأجبت وانا أغمّه:

لادفاتر أشعارك" الغمة باللهجة العراقية أن تبسط المرأة يديها في حال كونهما متجاورتين مفتوحتي الراحتين وتدفعهما نحوالرجل استهزاء وتقول: أمِّداك أو أم أو تكتفي بالحركة فقط، كان نزار يلمح إلى قوله إني خيرتك فاختاري مابين الموت على صدري ... لكن شاعرتنا قطعت عليه غروره بسخرية أشد"

توقفنا عن الحديث حين صعد المنصة أحد المحاضرين وفي اللقاء الثاني معها خلال فترة الاستراحة، قلت لها:

لقد قرأت في بعض الصحف ان السياب كان يحبك فهل هذا صحيح؟

قالت : ربما من جانبه هو فأنا لم اشعر بذلك الحب ولم أفكر به بل لاعلم لي به إطلاقا.

ولم يلفت نظرك قط؟

لا قط!

قلت: وقرأت أيضا أنه كان يطلق عليك لقب الأمبراطورية لسببين شموخك وجمالك.

قالت: لعله كان يقولها امام زملائه الطلبة في دار المعلمين أما مباشرة فلم أسمعها منه " قولها هذا ذكرني بالجمال و القبح من دون أن أدخل معها في التفاصيل يوم كنا نطلق مسميات على الفتيات الزميلات ففي كليتنا في جامعة البصرة كانت هناك فتاة خارقة الجمال رائعة الطول أطلقنا عليها لقب نسر الجو وحدث أن أغمي عليها ذات يوم فرفعنا ايدينا وقلنا يارب بكفته ولا بنسر الجو وكفته هو لقب أطلقناه على طالبة معنا قبيحة الشكل"

قلت: هل كنت تقابلينه باحتقار كما تشير بعض الصحف؟

هنا قبل أن أدخل في المقال الذي هو عبارة عن ذكريات أود أن أبين أن السداسي العظيم الذي تولى مسؤولية التجديد في الشعر العربي المعاصر مثّل أطياف الشعب العراقي الكبيرة تقريبا، فالسياب والبياتي من العرب السنة - ربما البياتي من أصول تركمانية كما يظن بعضهم- وبلند كردي، ليس كرديا فيليا كما يعتقد بعض الناس فجده كان شيخ إسلام زمن الدولة العثمانية ونازك وعاتكة كانتا عربيتين شيعيتين ولميعة عباس عمارة من المندائيين الصابئة وهي ذات معرفة واسعة باللغة المندائية ومدرسة للغة العربية.» عندما كنت في المرحلة الثانوية كنت أتابع مقالات لها في مجلة النفط عن اللغات القديمة»

قالت: ابدا أنت تعرف أن الصحف والمجلات تبالغ كثيرا. كانت علاقتنا علاقة زمالة وكل واحد منا يحترم الآخر ويقدره وليس هناك من سبب لاحتقاري إياه. إنه زميلي وأكن له كل احترام وتقدير." وكررت" نحن زملاء يحترم كل منا الآخر.

وفي لقاء ثالث سألتني عن آخر نتاج شعري لي قلت لها: حين أصل الدنمارك سابعث لك بآخر ديوان صدر لي لكن معذرة لما ورد فيه من أخطاء فأنا في اوروبا والناشر في دمشق وكثيرا ما أصحح ملازم المسوَّدات ثم ابعثها إلى هناك فاجد الأخطاء ذاتها، كذلك سأرسل إحدى رواياتي!

فابتسمت وعقبت:

ماذا أفعل بالرواية، الشعر نعم!" بلهجتها العراقية الجميلة" الرواية شسوي بيها!

فعرفت أنها لاتقرأ الرواية وربما لاتحبها.

أدناه يجد القاريء الكريم رسالتها التي بعثتها لي من الولايات المتحدة الأمريكية تعرب فيها عن تقديرها لمجموعة عبير المرايا التي طبعتها في دمشق عام ١٩٩٠ والإهداء المؤثر التي ذكرته الشاعرة هو إهداء الديوان الذي كتبته لوالدي " إلى روح والدي الذي وردني نبأ وفاته بعد سنتين" والسبب هو أننا كنا في دمشق زمن المعارضة ولم أكن لأعرف أن النظام السابقً اغتال ابي إلا بعد سنتين، والإهداء نفسه أثَّر أيضا في الكاتبة الكبيرة السيدة غادة السمان كما أشارت في إحدى رسائلها لي.

وسوف يطلع القاريء الكريم أيضا على رأي مهم للشاعرة الكبيرة لميعة الا وهوقضية الرسم والموسيقى.

كنت أتمنى أن أعرف العزف على آلة موسيقية، فقد كنت منذ زمن الثانوية مؤمنا أن الشاعر إذا لم يكن يعرف العزف على آلة موسيقية ما أية آلة كانت فإنه يعد من الأميين ضاربا المثل بالأعشى صناجة العرب والسياب الذي كان يجيد العزف بالناي الأمر الذي حدا بي ذات يوم إلى استعارة عود من صديق لي وعندما حضر والدي وهو ملا – قاريء حسيني وفي الوقت نفسه وكيل السيد الخوئي رحمه الله-أمر أن يخرج العود – كان رحمه الله يقول إن الآلة الموسيقية المحترمة هي البيانو اما العود وغيره فهو... فماذا يقول عنا الناس بيت عواده؟" ودعا صديقا لي طالبا منه أن يخرج العود من البيت إلى صاحبه لكي لايراني الناس في الطريق أحمل عودا، وعندما خرج ذلك الصديق حاملا العود وجد نفسه في الشارع وسط ضجة من الناس فسأل ماهذا فقيل له إن جده الطاعن في السن مات فجأة وها هم يحملون جنازته لغسلها في المسجد عندها كنت اقف امام باب بيتنا واعماقي تهتف اعزف ياصديقي موسيقى جنائزية.

المهم إن الشاعرة الكبيرة التفت في رسالتها إلى نقطة رائعة هي أهمية معرفة الشاعر للموسيقى: ظنتني رساما وعازفا. لقد تعلمت بعض مباديء العود والبيانو من أجل الشعر. الآن نسيت تلك المباديء لعدم ممارستها- وإني أحث أي شاعر على أن يتعلم العزف على اية آلة موسيقية من أجل أن يطّور شعره كذلك أن يدرس فن الرسم لكني في الوقت نفسه تراجعت عن موقفي السابق ايام الشباب هو أن كل شاعر لايعرف استخدام آلة موسيقية يعد أميا. لقد كان رايا قاسيا متطرفا لامسوغ له.

لميعة عباس عمارة

اسئلة بروست واجوبة الشاعرة لميعة عباس عمارة

ع رفعت نافع الكناني

هذة الكلمات التي بين يديك سيدي القارئ ، هي مجموعة اسئلة وجهت للشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة عندما كانت في بيروت عام ١٩٦٩ لغرض طباعة مجموعتها الشعرية الاولى (الزاوية الخالية) والتي اصدرتها في عام ١٩٥٨ ...

هذة الاسئلة الشهيرة التي ابتكرها الروائي الفرنسي مارسيل بروست مع اصدقائة على سبيل التسلية، ولتزجية الوقت، والتي راجت كثيرا في العقد الثاني من القرن الماضي ، ان مثل هذة الاسئلة ستكشف لنا جوانب من شخصية حميمة بالنسبة للفنان الذي نطرحها علية، رغبة منا في توسيع معارف القارئ حول امزجة واراء الادباء والفنانين . وفيما يلي اسئلة بروست واجوبة لميعة عباس عمارة كما نشرتها مجلة الشبكة اللبنانية في العدد ٦٨٢ والتي تصدر عن دار الصياد للصحافة والطباعة والنشر من دون اضافات

MONDAY Feb ١٩٦٩ ١٧th .

ماهو رأيك في منتهى البؤس؟	الصراحة
الفقر	ما هو افضل عمل تقومين بة؟
	التدريس
اين تحبين ان تعيشي؟	لو لم تكوني انت من تحبين ان تكوني؟
في كل مكان	لميعة
ما هي السعادة المثلى في هذة الدنيا؟	ما ابرز خطوط شخصيتك؟
بيت سعيد وكثرة اصدقاء	الارادة القوية
اية اخطاء تظهرين تجاهها تسامحا اكثر من سواها؟	ما هو حلمك في السعادة؟
الاخطاء غير المقصودة	ان اجد كل من حولي سعداء
من هم ابطال الروايات الذين تفضلينهم على سواهم ؟	ما هو في نظرك افدح انواع الشقاء؟
شهداء الحب العذري	ان يعيش بيننا الذين نحبهم ونعلم ان عمرهم قصير، وذلك ما حدث لابي واخي، يعيشون اياما بكامل شخصيتهم المرحة مستهزئين بالموت
من هي الشخصية التاريخية المفضلة لديك ؟	لونك المفضل؟
التاريخ اكذوبة وفي كل شخصية وجهتا نظر متعاكستان	الاسود والاصفر
من هو رسامك المفضل؟	زهرتك المفضلة؟
الرسام العراقي جواد سليم	الفل والنرجس
من هو موسيقيك المفضل؟	عصفورك المفضل؟
بتهوفن	طيور الحب
ما افضل مزايا الرجل؟	اي الاسماء تفضلينها؟
شخصيتة القوية	الاسماء الحسنى
ما افضل مزايا المراة؟	ماذا تكرهين اكثر من اي شيئ اخر؟
احترامها لانوثتها	الطعام الدسم
ما هي فضيلتك المفضلة؟	اي شخصية تاريخية تحتقرينها اكثر من سواها ؟
ولم استفد علما فما ذاك من عمري	نيرون
	ما هو الحدث العسكري (الحربي) الذي تعجبين بة اكثر من سواة؟
	انتصارات الفدائيين
	اي الهبات الطبيعية تفضلينها على سواها؟
	الذكاء
	كيف تودين ان تموتي؟
	بالسكتة القلبية
	في اية حالة ذهنية انت الان؟
	لا اميزها
	ما هو شعورك في هذة الحياة؟
	اذا مر بي يوم ولم اتخذ يدا

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

لميعة عمارة على أوتار العامية والفصحى

علوان السلمان

مع ناهدة الرماح

ذات يوم رددت الشاعرة لميعه عباس عمارة مع نفسها..

قد لا اكون شاعرا كبيرا ..
ولكني ..
ماكنت يوما انسانا صغيرا..

ويقول جان كوكتو (الكتابة هي فن التورط)

ولميعة عباس عمارة التي يمتزج عندها الحبيب بالوطن و الحياة في كل دواوينها تقول في مقدمة لها طرزت مجموعتها (لو أنباني العراف)

كل شعري قبل لقياك سدى
وهباء كل ما كنت كتبت
اطو أشعاري ودعها جانباً
وادن مني فانا اليوم بدأت

انه صوت النورس الذي عانق فقاعات دجلة في زغبه آذ الولادة في بغداد الكرخ ١٩٢٩ فالارتحال صوب رائحة الهور وعطر السنابل والحصاد وأهازيج النسوة ولقاءات (الملالي) وغناء الطفولة في أحضان العمارة عام ١٩٣٢ ..... وهناك نشأت وأكملت دراستها الابتدائية والثانوية .. ثم العودة ثانية إلى بغداد لإكمال دراستها في دار المعلمين العالية حتى تخرجها فيها عام ١٩٥٠ بعد أن كانت لقاءات الإبداع والتجديد وظهور مجموعة من الأدبيات كان لهن الفضل الأول في إظهار شخصية المرأة بما قدمته من نتاج فكري وأدبي أسهمن فيه منهن (نازك الملائكة وعاتكة الخزرجي ولميعة عباس عمارة وفطينة النائب وصبرية الحسو) وغيرهن من الرائدات الأوائل ..

ولميعة عباس عمارة صورة المرأة الرافضة لواقع يقتل ألذات النسوية المبدعة بدأت تحس بحريتها وتحركها نتيجة لما أفرزته الحياة ،فولدت عندها نفس حساسة وروح تواقة الى الأجمل والأروع والأسمى فالعصر.. حقق لها وجودها فمنحها حق التعليم والعمل لكنه لم يحررها عاطفياً للتعبير عن مكنونات نفسها بل كانت تغلفه بالمعنى القريب . فقد عبرت الشاعرة في بعض قصائدها عن عواطفها مع كثير من التحفظ المطوق بالكبرياء وحب ألذات فظلت عواطفها مرتبطة بالبيئة خاضعة لعرفها الاجتماعي .

أهكذا تمضي حياتي سدى
اهكذا تدفن آمالي
اهكذا يقطع ما بيننا
هذا الستار القاتم البالي([١])

فالشاعرة كانت واعية للأزمة التي تحيط بها لذا كانت ثورتها اجتماعية وسياسية تتحرك في إطارها العام فهي انسانة متفاعلة مع واقعها تطمح إلى دفع عجلة التطور إلى أمام لذا فهي عضوة الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء العراقيين في بغداد ١٩٥٨-١٩٦٣ وهي عضوة الهيئة الإدارية للمجمع السرياني في بغداد وعاملة في سلك التعليم كمدرسة لمادة اللغة العربية في الإعدادية المركزية للبنات ومن ثم نائبة الممثل الدائم للعراق في منظمة اليونسكو في باريس ٩٧٣-١٩٧٥ بعد أن كانت مديرة الثقافة والفنون - الجامعة التكنولوجية - بغداد ١٩٧٤ .....بعدها هجرت العراق نتيجة الأوضاع السياسية المريبة

واستقرت في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية وترأست تحرير مجلة (منادائي) ....لأنها تعي أن الفن لا يقف عند حدود التعبير العاطفي والتسلية بل يساهم بشكل فاعل في خلق القيم والذات والواقع بشكل لا يعرف السكون ولا الحدود ....

لميعة عباس عمارة العراقية الأنيقة الوفية لبغداد حملت حقيبة الارتحال وارتحلت محلقة في فضاءات الارض البعيدة بعد أن سطع نجمها في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات ومازال معلقاً في سماء الأدب عبر دواوينها ونتاجها الذي لا ينضب .....فهي صاحبة

(الزاوية الخالية)١٩٥٩ مجموعتها الشعرية الأولى التي جسدت شهرتها كشاعرة عراقية متميزة الأسلوب متفردة الاصالة ثم تلتها عودة الربيع ١٩٦٢ ، وأغاني عشتار ١٩٦٩ ، ف(عراقية) ١٩٧١ ، و (يسمونه الحب) ١٩٧٢ ، و(لو أنباني العراف) ١٩٨٠ وأخيرا في ديار الغربة كانت مجموعتها (البعد الأخير) .... ولها ديوان شعبي (بالعامية) وقصته كما ترويها الشاعرة (في باريس أن الغريب عندما أتحدث عن بغداد يأتي الشعر عامياً فاسأل نفسي لماذا اكتب بالعامية وانا المتشددة والمتحيزة للفصحى ؟ ولماذا لا اكتب بالفرنسية دون العامية ؟ فيتبين لي إني قريبة من الشعب بالعامية لذا كنت اهتم بالشعر العامي ...

ولميعة عباس عمارة نظمت الشعر بالعامية في سن مبكرة تماشياً مع المحيط وأول نظمها كان أبوذية عرضتها على جدها الشاعر وهي :-

تشوف الناس ظاهرتي وسمني
أوما تدري الدهر طكني وسمني
على الخدين محبوبي وسمني

وقد أثار هذا النظم حفيظته فثار عليها ولم يجعلها تنجز قفل الابوذية.. ونظمها بهذا الباب بحكم انتشاره نتيجة الطبيعة الحادة ومعاناة صاحبها وقد استمرت لميعة حتى في حياتها الجامعية ومازالت تنظم بالعامية وقد تسربت الكثير من قصائدها الى الإذاعة وغناها عدد من المطربين منهم فرج وهاب الذي غنى لها (درويش انه جنت زادي العشب والماي) وفاضل عواد غنى لها (اشتاكلك يا نهر يا لبردك الجنة) وغنى سعدون جابر (أرد أسألك :وبحسن نية محلفك بالله ترد) .....وفي كل هذه ألاغاني لم يذكر اسمها كشاعرة للنص .

ولميعة عباس عمارة تمثل نرجسية الأنثى التي تتلذذ برؤية عشاقها فهي شخصية قاطعة ...

مرهفة في قطعها مثل حد الموس إذ إحساسها بتفوقها وانجذاب الآخرين إليها جعل ذلك التمرد اعتداداً مفعماً بالأنوثة والكبرياء كما يقول (ابن عمتها) الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ...فالحب عندها لا ينحصر ضمن دائرة ذاتية وإنما يمتد إلى أفق عام لا يعرف الحدود

فهي تقول :-

يول اشلون الك ركبة ولك طول
ولك هيبة التيسرني ولك طول
اكل اليل المسامر ولك طول
مثل ليل الكطه چلچل علي

ولها :-

القصيدة أصعب امن امعسر ولادة
أو عند الشاعر أبعزة اولاده
بلعبه أتحصلت رينو ولاده
وانأ المر سيدس انعزت عليه

ولها في الزهيري :-

يسألني وين الصبر .....كتله يصاحب ذهب

أو ظل الحزن صاحبي ...عن كل صاحب ذهب

من ألف صاحب دغش ... تحظى بصاحب ذهب

خليه بكلبك تراهو كل عوض مايله
أو لو مال حملك يعدل بالوفا مايله
الفكر مثل الزرع حلو الحچي ما يله

وقلال أهل الثقافة المثل (صاحب ذهب)

أما آخر نتاجها بالعامية فهو (أهازيج منادائية) منها :-

أمبارك دهفه ديمانه
مبارك دهفه ديمانه
وماري ايبارك المندي
ويحفظ هذي الديانه
مبارك دهفه ديمانه ([٢])

ولها(الجسر المعلق) الذي كانت مولعة به فتكتب عنه بالعامية والفصحى ،ففي العامية قولها :-

ضلعي أحسه المنكسر موش الجسر
يا جسر المعلق أو يا أحلى جسر
يحزام دجلة ايالالي حدره الماي ويوج العصر
يمصافحة صوبين ما مل الرصافة الكرخ
من وكت الزغر
يا جسر المعلق ويا أحلى جسر

أما في الفصحى فلها :-

يا ثقل كرخي نجاذبه
سحر الهوى ووصاله نزر
خلقت جسور الكون موصلة
إلا المعلق أمره أمرُ

ومن قصائدها أن احدهم قرأ كلمة في محفل مملوءة بالا غلاط ...وبعد أن انتهى من كلمته قال: ربما أ خطأت بكلمة واحدة لارتباكي ..فكتبت لميعة هذه القصيدة ...

يا حلو يموصَه بالفاعل تكسره
أو ترفع المجزوم والمجرور ما تقبل غلط
أغلط ابكيفك أتدلل
عدلت إذني على (لحنك) حلو
يروحلك فدوه القواعد والنحو
أو ما كالت الأعراب بسنين القحط
كبل ما عرفك عميت عيوني بالتصحيح
شده أو همزه لو متزحلكه شويه النقط

مراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

اكصب الطلاب ...غلطه أبصفر لو ممتاز ما عندي وسط
او لو عرفتك من كبل جا محد بدرسي
–ولودچه – صقط

أما فصيح الشاعرة لميعة فيشهد له الشاعر المهجري (إيليا أبو ماضي) اذ كانت الشاعرة ترسل قصائدها له عن طريق والدها المغترب الرسام وصديق إيليا هناك ..فهي بدأت كتابته منذ الثانية عشر من عمرها ونشرت لها مجلة (السمير) أول قصيدة وهي في الرابعة عشر من عمرها وقد عززها إيليا أبو ماضي بنقد وتعليق مع احتلالها الصفحة الأولى من المجلة إذ قال (إن في العراق مثل هؤلاء الأطفال فعلى أية نهضة شعرية مقبل العراق ..)

وهاهي تخترق الأفاق منذ البداية الأولى حتى منبر دار المعلمين العالية وانتهاءاً بالمرابد الشعرية وديار الغربة ..فعنصر التحدي يكمن في داخلها لذا رفضت العباءة وخلعتها بعد أن عايشتها لسنين حتى المرحلة الجامعية .

إنها ثورة ضد المألوف تمثلت في اختراق باب الغزل وكتابة (شهرزاد) ونشرها في مجلة (البيان) النجفية لصاحبها (علي الخاقاني) الذي عانى ما عانى بسببها .

لميعة عباس عمارة تكتب عن الوطن المتعب وتشارك في المظاهرات الصاخبة فهي جزء من الهم العراقي والفرح العراقي متأبطة الخير دوما فتراها تقول عندما تسال عن موقعها:

انا لم ابدع شيئا
ما انا الا صعلوك يتأبط خيرا
من يخشى صعلوكا لايتأبط شرا

لكن البروفيسور (جاك بيرك) عرفها بنفسها في كتابه الذي صدر في فرنسا عن الشاعرات العربيات فذكرها ونازك الملائكة و فدوى طوقان

لميعة عباس عمارة شاعرة الرقة والجمال والأنوثة التي لا تنتهي لا تخلو قصائدها من لذعة فحين منحتها الحكومة اللبنانية وسام الأرز تقديراً لمكانتها الأدبية –لم تتسلم الوسام
(لان الحرب الأهلية قائمة) فكتبت تقول:–

على أي صدر أحط الوسام
ولبنان جرح بقلبي ينام

وهي ترفض الريادة والكلام عن ذاتها – فحين اتصلت بها إحدى المنظمات لتكريمها لكونها من رائدات الأدب ..كتبت قصيدتها التي تعلن فيها عن بيع ريادتها بالمزاد :–

من يشتري مني الريادة..؟
من يشتري مني الريادة ..؟
من يشتري الخمسين بالعشرين .
لا ابغي الزيادة ..

لميعة عباس عمارة قصتها مع شعر الغزل طويلة لا تعرف النهاية.. وقصائدها ما زالت تعبر عن شبابها :–

لو انباني العراف ..
انك يوماً ستكون حبيبي ..
لم اكتب غزلاً في رجل...

فسلاماً للابداع الذي لا ينضب ..وربطة العنق الحمراء التي لاتمل لأنها الأناقة والشباب ..سلاماً لام زكي في ديار الغربة عبر جسور نمدها حروفاً لشاطئك بعد ان دخلتي بيوتنا عبر المنهج الدراسي المقرر عسى أن تعبرين عليها وتعلنين القدوم ويتحقق ما جاء في ديوانك (البعد الأخير) ..

([١]) الزاوية الخالية ص٣٣
([٢]) دهفة ديمانه = عيد الكون عند الصابئة المندائية (عيد ميلاد النبي يحيى عليه السلام)
ماري = الله
المندي = بيت العبادة

مع محمود درويش... ذكريات

لميعة عباس عمارة

(فاجأنا هنا الشاعر الطالع توّاً من فوهة الثورة) مع أن ساحة الشعر كانت ملأى بشعراء الحداثة البارزين، ولكن محمود درويش كان وكأنه يكتب بلغة جديدة غيرٍ لغتهم أو غير لغتنا، مما يزيدني فخراً واعتزازاً باللغة العربية التي لا حدود لتجددها، وكيف تفتح خزائنها لمن يبدع في تنسيق هذه الحروف المعروفة المصفوفة منذ ألفي سنة.

خرج محمود درويش للعالم العربي من سجون مضاعفة عن سجن الاحتلال وقيود الإقامة الإجبارية التي تستهلك معظم نهاره لإثبات وجوده، إلى المجتمع العربي الواسع ظاهرياً المقيد بألف قيد غير مرئي.

كان يظن أنه عربي فقط، فإذا به يرى العروبة أغصان تتشابك وأسلحة تتعارك.

خرج محمود درويش من الأرض المحتلة وقد درس بمدارسها وقرأ بلغتها أهم الكتب العالمية المترجمة إلى هذه اللغة التي كانت إلى ما قبل عقود قليلة تعد لغة ميتة أو محتضرة قرأت لمحمود درويش أول شعره فشممت رائحة الخبز ورائحة القهوة في كلمات تبدو بسيطة.

أحنُّ إلى خبز أمي وقهوة أمي وتتابع إعجابي بمحمود درويش.. وكتب نثراً يوازي شعره جدّة، فأحببنا نثره وشعره.

ثم عرفته شخصياً في لقاءات مهرجان المربد في العراق بداية ١٩٧٠، وسيماً أنيقاً حاداً كان يبدو لي متعالياً ساخراً بمن حوله، ذلك أول انطباع لي عنه. وعرفته في بيروت ومنظمة التحرير في عنفوانها وهي على حافة الخطر كانت أصوات المتكلمين في قاعة جمال عبد الناصر تصلني إلى مسكني في شارع عفيف الطيبي فأذهب بصحبة إحدى الصديقات إلى تلك القاعة المكتظة بالغليان، وأحياناً كثيرة يكون محمود درويش أحد الخطباء فيها، وأكثر قصائده كانت رثاءً وهو يودع بين فترة وأخرى رفيقاً عزيزاً، كان إلقاؤه صراخاً وكنت أقول في نفسي: آه لو يتعلم محمود درويش أنٍ يلقي شعره بأقل حدة، فيجعلنا نحن نصرخ بدلاً عنه، وكيف يخرج كل هذا الهدير من هذا الجسم الناعم. كانت آخر صرخاته في تلك القاعة وهو يتوجه بها إلى صفوف المنتظرين على قائمة القتل من رفاقه:

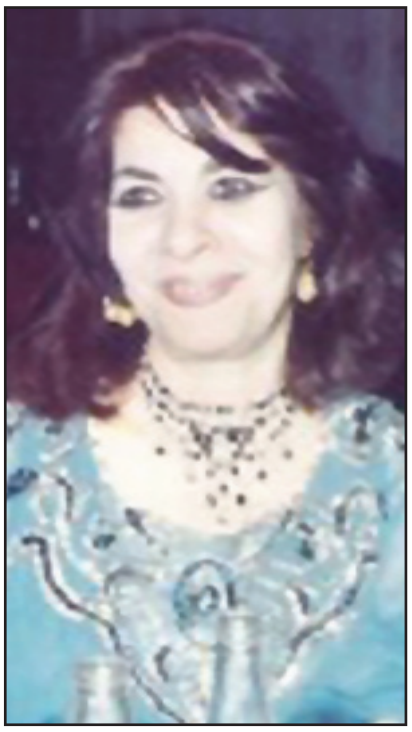

أمهلوني سنةً واحدةً، وافترقنا مثل شظايا في العالم المتفجر، وكنتُ أنا أبعد تلك الشظايا، في آخر نقطة على اليابسة في أقصى جنوب غرب كاليفورنيا على المحيط الهادي في أجمل وأغبى مدينة في العالم (سان دييغو).

في هذه الوحدة القاحلة في جنة خضراء لا يرى أهلها برداً ولا حروراً، أعيش منقَّطعة عن العالم، إلا من أخبار القتل والدمار، ليس لديَّ كل دواوين محمود درويش، ولا تصلني مجلة الكرمل التي يرأسها بجدارة محمود درويش. ليس لديَّ إلا ذكريات جميلة أقتات عليها.

لذلك لن أدخل ميدان النقد وأنا عزلاء، فما أكثر النقاد الذين كتبوا ويكتبون عن شعر محمود درويش ولن أزاحمهم في نظرياتهم وتحليلاتهم.

حسبي من محمود وحسبه مني أنني أحببته دائماً وأعجبت به كألوف القراء، واحتفظ منه بالجميل من الذكريات وبعضاً مما خصني به من كلمات حلوة، كان آخرها سنة ٢٠٠٢ في مهرجان برلين بألمانيا ونحن نستعد لصورة في صالة الفندق قال لي محمود: (أنا أقف الآن بجانب أنانا)... صرت أفتقد محادثة الأذكياء، وأراجع المواقف الماضية. قلت إنني أحببت محمود درويش، وتجنبته قدر الإمكان أو قل أنني أحببته بحذر، لأن هذا الوسيم الموهوب الذي يبدو كطفل مدلل له قساوة صيف بغداد، وتعبير الأطفال إذا ضجروا، وهياجهم إذا استاءوا، وقد صدق حين قال عن نفسه: وتكبر فيَّ الطفولةُ يوماً على صدر يوم فما كبرت في محمود غيرٍ طفولته، وما غيرت من شَكله السنون ظل جميلاً كما عرفته وطفلاً يكره القفص الذي يحبس فيه الطفل مع ألعابه، وليس له صبر على الصبر والإغضاء والمجاملة مع من تحبه من النساء، فهو طائر الحب الذي يكره

العش وتفقيس البيض.

في لقاء شقيف الشعري بلبنان قبيل الاجتياح الإسرائيلي وكان أبو عمار يرعى ذلك اللقاء، وقد دُعيَّ إليه شعراء وزعماء الأحزاب السياسية، وكان لقاء تاريخياً حقاً.

دعاني أبو عمار للجلوس بجانبه في الغرفة الواسعة التي يصطف فيها المدعوون، ودعا الشاعر أمل دنقل للجلوس إلى جانبه الآخر وكأنه يستضيف العراق ومصر، وكان محمود يجلس في الجهة المقابلة لنا.

لم أكن أقصد والله أن أركز نظري على محمود درويش ولكنه كان دائماً أمامي، وأعترف أن لي عيوناً مراوغة تخيل لكل من حولي أنني أنظر إليه، استفدتُ من هذه الميزة أو هذا العيب أثناء مراقبتي الامتحانات، فكل طالبة كانت تتصور أنني أراقبها بالذات، هذا ما تعوّدت أن أسمعه من طالباتي وطلابي

فوجئت بمحمود يصرخ بي ويقول لي بحدّة:

– حاجي تتطلعي فيَّ.

فرد عليه أبو عمار فوراً:

– يعني تريدها تتطلّع فيَّ أنا؟

وأبو عمار يضرب أكثر من عصفور بحجر واحد.

بعد الاجتياح فارقتهم إلى قبرص، وهم رحلوا إلى تونس ودعاني أبو عمار إلى تونس ضيفةً عزيزة، نزل في الفندق ذاته محمود درويش، سلّمت عليه وكان بصحبته صديق.. دائماً.

لم يطل جلوسي لحظة، اعتذرتُ لأغادر، قال محمود:

– نحيي فيك خجلك، ونحيي انسحابك.

وفي لقاء سريع مثل هذا قال لمن معه وهو يستفزني:

– لميعة لو تكتب على باب غرفتها: Please disturb me في المرة الثالثة حين رأيته يجلس في صالة الفندق مع مجموعة ناولته قصاصة غير مهذبة من مسودة أبيات وجدتها بين أوراقي وفيها:

(إلى محمود درويش:
أزح يا حبيبي نظارتيك قليلاً لأُمعن فيك النظر
فما لونُ عينيك؟
هِل للغروب تميلان أم لاخضرار الشجر
أُحبهما، تتعرى النجومُ
بغير سحاب أريد القمر
فو اللهِ من أَجلِ عينيك محمودُ
أصبحَت أعشقٌ قصر البصر)

قرأها محمود بسرعة وناداني قبل أن أغيب: تعالي..

قلت: – خير..

قال: – لماذا تنادينني (يا حبيبي) وأنت لا تقصدينها؟

قلتً: – هكذا أنادي كل أولادي.

وضحك الحاضرون فاشتفيت بمحمود.

بعد سنين التقيتُ بمحمود درويش في برلين في مهرجان برلين ٢٠٠٢ محمود الخارج من معركة مع الموت.. وحكى لي كيف قابل الموت وجهاً لوجه وكيف غلبه.. في اليوم الأول من لقاء برلين ألقى محمود درويش قصيدة كمن يروي قصة من ألف ليلة جديدة وكان هادئاً بلا ضجيج ولا صراخ، قصيدة من أجمل وأغرب ما يرد على خاطر بشر، أوحتها حادثة محزنة كالعادة امرأة حامل تقتل برصاص الجنود الصهاينة.

تتابع ما يأخذك محمود درويش إليه في هذه القصة التي تجسد كل المعاني السامية في الإنسانية وهو يخاطب الجندي القاتل وتتصاعد الأحداث التي لم تحدث ولن.. بعيداً عن فوضى الحماس وتتصاعد معها قصة شهرزاد.

من مذكرات نشرتها الشاعرة في المواقع الالكترونية

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

لميعة عباس عمارة.. شهادات

صاحبة خيال رومانسي

فاضل ثامر

انها واحدة من الشاعرات البارزات في المشهد الشعري العراقي ، التجربة العراقية وكان لها حضور دائم في المشهد الثقافي بطريقة لافتة للنظر على المستوى الابداعي وعلى المستوى الاجتماعي ، لميعة من جيل السياب ونازك الملائكة والبياتي، زاملت السياب في الجامعة ، وكما نعلم انها كانت طالبة في دار المعلمين العالية وكانت تكتب الشعر في بداياتها وكان السياب يكتب الشعر في بداياته، ويقال والعهدة على الرواة بأنها كانت احدى الشخصيات التي اثارت اهتمامه وكتب عنها الشيء الكثير ، وكان يحلم بها بوصفها حبيبة له .

التجربة الشعرية الحداثية التي بدأتها نازك الملائكة و السياب كانت مغايرة ، تجربة فيها نوع من التجذير في التحول وخاصة الخروج عن عروض الخليلي والانتقال الى قصيدة التفعيلة او الشعر الحر بما فيها من رؤى ومن بنى حاثية اختلفت جذريا عن الاطروحات القديمة لمانسميه عمود الشعر العربي بمواصفاته السبع التي وضعها عدد من نقاد العرب الكلاسيكيين ، وفي تقديري ظلت تجربة الشاعرة لميعة ضمن اطار التجربة الرومانسية وتمثل امتدادا لكثير من تجارب السياب ونازك قبيل مرحلة الحداثة ، ظلت مشدودة الى هذا الخيال الرومانسي الجامح وكانت ثيمة الحب و العشق و الحياة المتخيلة هي الاساس، ولهذا هي لم تدخل على مستوى البنية الشعرية مضمار التنافس على مسألة خلق بنية قصيدة حداثية ،ويمكن ان ترتبط تجربتها بما يسمى بالتجربة الشعرية الرومانسية العربية وكذلك بشعراء المهجر .

قبل مدة قصيرة زجعت الى دواوين لميعة ووجدت فيها نفسا طيبا وربما مثلما نحب قصائد لنزار قباني او لعدد من الرومانسيين العرب لايزيد على ذلك ، لا نجد فيها هذا البناء العميق الكثيرة التي نحلم بها ، لا نبالغ .. ولكنها تجربة مهمة وثرية ومحببة الى النفس بوصفها اولا شاعرة ، وثانيا : تنتمي الى مكون اجتماعي مهم من مكونات الشعب العراقي كونها صابئية ، وهي قريبة للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ، ومن حقنا ان نحتفي بها كونها ممثلة لهذا الشيء ، ولكن بوصفي ناقدا لا استطيع ان اقول عنها اكثر من ذلك ، محبة وتواصلا، وتظل هي اسما كبيرا وتمثل ايضا ظاهرة ثقافية وظاهرة شعرية وظاهرة اجتماعية ، وجدير بنا ان نحتفي بها ونتذكرها دائما ونتمنى لها ان تتاح الفرصة لان تعود الى وطنها لكي حتفي بها بما يليق بها وبما يتطلب منا

ظاهرة اجتماعية وشعرية

علي حسن فواز

لايمكن قراءة لميعة عباس عمارة الا وان يرافق هذه القراءة مع قراءة السياق الذي تشكلت فيه تجربة لميعة عباس عمارة ، ربما الان حين نقرأها الان نجد قصائدها بسيطة وربما فيها الغلو الرومانسي ، ولكنني اعتقد ان لميعة عباس عمارة حينما كتبت الشعر كانت ظاهرة احتجاج على ذكورة الهيمنات الاجتماعية والثقافية ، كانت قصيدتها فيها الكثير من الاستفزاز وفيها الكثير من الاحتجاج مما جعل لميعة نقطة ضوء وسط العتمة، والكل من عاش ذلك الزمن يدرك ان لميعة عباس عمارة قد اجادت صناعة هذا الضوء ، مثلما تقودنا لميعة عباس عمارة الى ان نتأمل ارستقراطية الشعر، الشعر كائن ارستقراطي ، لكن هذه الارستقراطية الشعرية لا يمكن ان نجدها الا بين يدي الانثى حين تقدم القصيدة وهي تمطر، وهي ترش برودتها على السخونات اليومية ، سخونة الحياة الاجتماعية، سخونة الحياة السياسية ، سخونة التفاصيل التي كانت ترعب الكائن اليومي .

لميعة عباس عمارة بتقديري كانت ظاهرة اجتماعية بقدر ما هي ظاهرة شعرية ، الظاهرة الاجتماعية انها كانت جريئة الى حد ما ، وهذه الجرأة هي التي جعلت لميعة تقترب من منطقة الحافات العاطفية الرومانسية الحافات التي تجعلها دائما ازاء غواية الرجال ، وكلنا يعرف ان السياب فعلا قد كتب العديد من القصائد تلذذا او تقربا الى لميعة عباس عمارة على الرغم من انه يعرف قربها من عبد الرزاق عبد الواحد ، يعني هذا الاطار الاجتماعي ، لكن مع ذلك فأن لميعة .. تشكلت في ظل اجواء ثقافية لها مؤثرات ، شعراء جماعة ابولو ، شعراء جماعة الديوان ، شعراء المدرسة اللبنانية، ومن يقرأ قصائد لميعة يجد ان هذا التأثير هو المهيمن وهو الفاعل وهو الاكثر توغلا في قصائدها ، اي انها كانت الاقرب، فلم تكن مشغولة بما خارج هذه المنطقة ،اي لم تكن معنية مثلما كان السياب معنيا بالاساطير والتجديد وكذلك عبد الوهاب البياتي المعني بقضايا كونية ، وحتى نازك الملائكة ، وبالمناسبة لايمكن مقارنة لميعة بنازك لان البيئة التي تنتمي اليها نازك تختلف بالكامل ، لذلك فأن الجملة الشعرية التي كتبتها نازك تختلف عن الجملة التي كتبتها لميعة، الحالة الاجتماعية التي كانت فيها لميعة غير الحالة التي كانت فيها نازك ، الشعراء الاخرون كانوا مشغولين بالهم السياسي والايدلوجي، بينما لميعة كانت تصطنع لها منطقة انثوية فيها الكثير من اللذائذ ، فيها الكثير من الهموم والتفاصيل الحياتية مما جعلها تكتب هذه القصيدة التي ظلت مثيرة وظلت فاعلة .

سمعت من الصديقة (هدية حسين) وهي احدى طالباتها ، تقول ان لميعة قد استفزتنا حن الطلاب حينما دعتنا الى ان نبحث عن الجمل المفيدة في القرآن الكريم ، وان نترك قضية (ضرب زيد عمرو) وغيرها من الجمل التقليدية ، فدفعتنا الى ان نقرأ القرآن الكريم ونتأمل ما فيه من جمل وقيم وغيرها ، وهي كما نعرف تنتمي الى مكون اخر ، ايضا سئلت لميعة عباس عمارة قبل مدة من الزمن : لماذا لا تأتين الى العراق ؟ ، فقالت : انا في صغري منعني الفقر من ان اسافر ، وفي شبابي منعتني الحكومة من ان اسافر ، وفي شيخوختي .. منعني الطبيب من ان اسافر

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

جريئة.. شعرا وتوجها

د.محمد حسين آل ياسين

ساكتفي بشيء من الذكريات و الانطباعات السابقة ، فقال : ازعم اني اعرفها ، لانني شاركتها كثيرا منذ اواسط الستينيات في الاماسي و المهرجانات و الندوات و الجلسات و القبولات ، فلم يفتني من شخصيتها الطاغية شيء ، تتميز عموما وبالمانشيت الكبير انها انسانة صنعت نفسها ولم تصنعها البيئة و لا المكان و لا الاباء و لا الامهات ، و الا فواحدة من مثل لميعة عباس عمارة ، بنت (العمارة) لو لم ترد ان تصنع نفسها لكانتْ امرأة عمارية بعباءتين وجورابين وخجل شديد من الحديث مع الرجال سوى ما يقال في هذا الصدد مما نعرف من نسائنا الحييات في (عماراتنا) الحبيبة ، ولكنها ارادت ان تخالف آباءها و امهاتها و (عمارتها) فتصنع نفسها ، ونجحت على الصعد المختلفة ، شاعرة وشخصية ومواقف ، حقيقة كانت شخصيتها في غير الشعر وفي غير المهرجان ، في الجلسة الخاصة .. طاغية، ومؤثرة ومهيمنة ومدهشة بما تملك من طريقة في الكلام ومن سرعة في البديهة ومن تعليق جميل ، ومن جمال، هي امرأة جميلة خصوصا في تلك الايام ، في الستينيات و السبعينيات ، في شبابها و أول كهولتها كانت طاغية بجمال وجهها ايضا ، سوى جمال لسانها وثقافتها وطريقتها في الهيمنة على الاخرين بحيث اني كنت احس اننا ونحن نحيط بها انها تملك زمام الجلسة قادرة على الهيمنة ، قريبة الى القلب ، مشعة في النفس، وهذه طاقة لم اتلمسها حتى في نظيراتها من المبدعات و الشاعرات ، لانها شيء اضافي غير القدرة على الكتابة الشعرية العادية .

واضاف : كانت لميعة .. جريئة ، شعرا ، توجها ، مواقف وتعليقات ، هل تسمحون لي الان ان استعير جرأتها في قصة ارويها عنها ، كنا في السبعينيات على ظهر باخرة في شط العرب ، نحن المربديين الاوائل سنة ١٩٧١ ومعنا عدد من الشعراء العراقيين والعرب ، تمخر بنا الباخرة شط العرب، وهي في وسطنا تتحدث كأنها تغني ، وتعلق فقالت في جملة ما تحدثت به : اني كنت طالبة عند المرحوم الدكتور محمد مهدي البصير في دار المعلمين العالية ، قالت وهي المتحدثة ، والكل من الواقفين يستمع وبجنبي عمر ابو ريشة يستمع اليها ايضا واخرون من العرب الكبار ، قالت : كانت من عادات الدكتور البصير انه اذا ترقى المنصة يطلب من طلابه ان يقرأوا في الكتاب ، ثم يعلق، فقال : (يا آنسة .. اقرئي؟) ففتحت الكتاب وقرأت ومرت بي الاية الكريمة الاتية (ربي اخلني مُدخل صدق ، واخرجني مُخرج صدق) ، فقرأتها (مَدخل صدق ومَخرج صدق) فصححها لي استاذي الدكتور البصير ، وعلى عادتي في المشاكسة مع الاساتذة قرأتها مرة ثانية (مَدخل صدق ومَخرج صدق) ، فقال : يا آنسة .. ألم نصحح لك القراءة، اقرئيها ، فأعت قراءتها ثالثة (مدخل ومخرج) فقال : (يا آنسة .. والله قتلنا مخرجك) !!!!!!!!.. احلى ما بها انها المتحدثة بهذه القصة فانظروا الى حريتها في الكلام، في التعبير، في النقل .

كنا نجتمع سنويا في مهرجان كلية الهندسة الذي بدأ في الستينيات ، كان مهرجانا عاليا، نعم .. كانت الكليات تقيم مهرجانات شعرية سنوية، ولكن لمهرجان كلية الهندسة في جامعة بغداد السنوي معنى اخر ، يكفي ان اقول لكم ان من حضّاره و المشاركين فيه الجواهري ومصطفى جمال الدين ولميعة وسواهم من الكبار وانا والخفاجي من شباب الشعراء الذين نشاركهم في هذا المهرجان ، فكانت لميعة تسيطر على القاعة ، تخلب الالباب وتهيمن على المهرجان ، لانها تتميز بموهبة اخرى ترافق موهبتها الشعرية وهي موهبة الالقاء المؤثر، لميعة عباس عمارة .. من النوادر الذين يحسنون القاء الشعر الى الدرجة التي يصح معها ان تسمى موهبة خاصة في القاء الشعر ، كانت موهوبة في الالقاء بحيث انها تستطيع من خلاله ان توصل القصيدة بأحسن ما يكون وان تضيف اليها اشياء غير موجودة عندما تقرأ مكتوبة في مجلة او كتاب، نعم .. كانت رومانسية في الاتجاه العام لشعرها ولكن الرومانسيين مثل الكلاسيكيين مثل الرمزيين مثل السرياليين يتفاوتون داخل هذا الاطار، فهي اشعر كثيرا من رومانسيين ورومانسيات كثيرين وكثيرات ، والا فكيف اصبح الجواهري اشعر العموديين ، واستطاعت ان تجعل من هذه الرومانسية ابداعا يدل على انها قادرة على ان تجيء بما لا يجيء به الاخرون وان تبدع بما يؤثر ويدهش .

ثائرة بوجه التقاليد البالية

د. نادية هناوي

اصبح من المعتاد ان يكون اسم هذه الشاعرة مرتبطا بالنفس الرومانسي ، فما ان يقال شعر الحب حتى يقال انه شعر لميعة عباس عمارة ،لكن الحقيقة ، وقد يكون هذا مفاجئا ، اعتقد ان في شعر لميعة ومنذ بواكيرها الشعرية الاولى منذ ديوانها (الزاوية الخالية) و(عاد الربيع) وجدت ان هذا الشعر ينبع وهو محمل بطاقة واقعية، فيه حضور واضح لشعار ان الشعر للمجتمع او للحياة ،والشاعرة لميعة شاعرة واقعية فضلا عن كونها شاعرة رومانسية واحسب انها في هذا تشابه نازك الملائكة نازك في توجهها الرومانسي والمرتبط بالتوجه الواقعي، صوت لميعة .. وصل صداه الى مختلف الاصقاع ،وفي اخر موسوعة للشاعرات العربيات (موسوعة ناتالي حنضل) الصادرة باللغة الانكليزية والتي هي عبارة عن انطولوجيا تضمن ما يقارب ٢٨٣ قصيدة لـ ٨٣ شاعرة عربية ، ومن العراق ذكرت لميعة ومي مظفر وامل الجبوري ونازك الملائكة فضلا عن دنيا ميخائيل ، كونهن الاوضح والاكثر حضورا في الشعر بالعراق .

نشاط لميعة الشعري كان غزيرا في بداية حياتها ، يعني في الثلاثينيات كانت لها خمسة دواوين ، ولما وصلت الى الثمانينيات صدر لها ديوانان وفي التسعينيات الى عام ٢٠٠٠ ديوان واحد ، وهذا امر طبيعي لعلها في هذا تشابه نازك الملائكة ، والمميز في هذه الشاعرة انها عاصرت اقرانها من الجيل الحداثي الاول من شعراء التفعيلة لكنها لم تأخذ حضورها مع هؤلاء، وظلت سمة الرومانسية والعامية هي الطاغية والطافحة على شعرها الى يومنا هذا ولعل السبب في ذلك يعود الى شيوع هذا التصور ان شعرها شعر حب ورومانسية .

ومن السمات الاخرى التي تميز شعرها ايضا هي شدة التعاطف والاحساس السياسي بالواقع والرغبة في تغييره ، واحداث الثورة والانقلاب وتمجيدها لابطال هذه الثورات ، فلديها قصيدة عنوانها (تحية البطل) تحيي فيها بطل ثورة الرابع عشر من تموز ولديها قصيدة عنوانها (١٤) وفيها ايضا تمجد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ ، وترتفع لدى لميعة في اغلب اشعارها لغة التحريض والعنف ، كما اها كانت ثائرة بوجه التقاليد البالية وكان شعرها يتميز بالخوف بالقضايا العربية المصيرية لاسيما قضية فلسطين ، كما امتاز شعرها بنزعتها نحو تمجيد البطل الذي كانت تراه بطلا في نظرها وهو (عبد الكريم قاسم) وقد ذكرته في قصائد كثيرة وجعلته اشبه بالاله تموز الباعث للامجاد والذي سوف يحيي الارض من جديد .

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

لميعة عباس عمارة

شاعرة الرقة والجمال والأنوثة

عالية كريم

امراة سكنها الشعر وبقي في أعماقها وهجاً متقداً لم تنطفئ جذوته، هربت من ارض الشعر كي تستنشق اوكسجين الحرية بعد ان تفشت الأوبئة والأمراض السياسية فكتبت قصائد حب ممزوجة بالوجع والحنين ودجلة وليالي بغداد والناس الطيبين، إنها المرأة البغدادية المندانية التي ولدت في بغداد عام ١٩٢٩ في منطقة الشواكة بجانب الكرخ ونشأت وترعرعت في العمارة وتسكن منذ سنوات في مدينة سان دييغو في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأميركية .

لا احد يتذكر طبيعة تلك المرأة التي عشقها السياب وألهمته في كتابة العديد من القصائد وكانت من اخلص صديقاته حين بدأت علاقتها به في دار المعلمين العالية التي تخرجت منها عام ١٩٥٠ ويذكر الأستاذ عبد البطاط ان السياب قال فيها قصائد كثيرة ودعاها لزيارة قريته جيكور وبقيت في ضيافته ثلاثة أيام كانا يخرجان سوية الى بساتين قريته ويقرأ لها من شعره وهما في زورق صغير.

لميعة عباس عمارة شاعرة عراقية بامتياز، فهي تنحدر من سلالة اتخذت من الماء – وهو أصل الحياة – مكاناً لعبادتها وحياتها، وقومها من تلك الأقوام الموجودة بالعراق قبل أن يكون العراق عراقاً، ولأنها جنوبية فهي مترعة بالحنان الذي تستمده من بلل مياه الأهواز وهي شاعرة حلقت في فضاءٍ طويلٍ كطيور الماء في بلدتها الأولى ،

تعود أصول الشاعرة لميعة الى ميسان في جنوب العراق حيث أنشأ السومريون حضارتهم، لكنها فتحت عينيها في بغداد حتى صار التبغدد جزءاً من حياتها تتمثله وتدافع عنه، فكان انتماؤها الى بغداد قوياً، بعد أن اغترب أبوها الرسام بعيداً عن العراق، وحين سعت إليه فأدركته، مات بعد شهرين من ذاك اللقاء، فعاد انتماؤها إلى العراق أقوى فصار هو الأب والأم والحبيب .

نظمت الشعر وهي صغيرة باللهجة العامية وتفتحت موهبتها الشعرية في الرابعة عشر من عمرها ونشرت أول قصيدة لها عام ١٩٤٤ في مجلة السمير، تخرجت من دار المعلمين العالية وعملت مدرسة للغة العربية وآدابها.

أصدرت عدة دواوين منها: الزاويه الخالية، وعراقية، ولو أنباني العراق، والبعد الأخير.

يشاء القدر أن تنتزع هذه الشاعرة الرقيقة من العراق كنخلة اجتثت من أرضها، وهي اللصيقة بها حد الوله، لتنبت في أرض غير أرضها وناس غير ناسها وسماء غير سمائها. حيث تقيم الشاعرة لميعة اليوم وقد تجاوزت السبعين، في أمريكا التي دمرت مدينتها الأثيرة بغداد، تعيش مثل نبت بري، فتتذكر بغداد ولياليها فيها وأيامها مع السياب الذي كناها بوفيقة في قصائده حسب ما تعترف هي بذلك، ويبدو أنه سلك طريقة الشعراء القدامى في عدم الإفصاح عن اسم الحبيبة.

في الثانية عشرة، كانت تكتب القصائد وترسلها الى الشاعر المهجري (إيليا ابو ماضي) صديق والدها الذي يشاركه في الاغتراب،ونشرت لها مجلة السمير أول قصيدة وهي في الرابعة عشر من عمرها وقد عززها إيليا ابو ماضي بنقد وتعليق مع احتلالها الصفحة الأولى من المجلة

لميعة عباس عمارة
ابـــداعـــات شـــاعـــرة

احمد جبار غرب

في بغداد مربض اسود الفكر والثقافة والابداع وعلى ضفاف دجلة الخالد ولدت شاعرتنا المحدثة لميعة عباس عمارة في منطقة(الكريمات) في وسط المنطقة القديمة بين جسر الاحرار والسفارة البريطانية كان ذلك عام ١٩٢٩لعائلة عراقية اصيلة تنتمي جذورها الى الطائفة الصابئية المندائية والتي برز ابنائها في شتى ميادين الابداع والتالق تفتحت مواهبها منذ نعومة اضفارها فعشقت الشعر وكتبته وهي لم تزل في مدرستها الابتدائية نشرت اول قصائدها في مجلة السمير اللبنانية وهي بعمر عاما١٤وكان شاعرالمهجراللبناني الكبير ايليا ابو ماضي صديقا لوالدها وقد حاول الشاعر الكبير تشذيب مهاراتها وتصويب مسارها رغم اعجابه بشعرها حيث قال مامعناه (اذا كانت هذه الطفلة تكتب الشعر بهذا المستوى فكيف سيكون حال الشعر في العراق) اتى لقب (عمارة)حيث ولد ابيها في مدينة العمارة وحيث تنتشر الطائفة في ربوع هذه المدينة المسالمة امتهنت التدريس وقد عينت في دار المعلمات١٩٥٥وهي ابنة خالة احد الشعراء البارزين في العراق ولكنها لم تكن كما كان هو ..

كانت تتمتع بقوة الشخصية والرصانة ولم تخضع لمنطق الاملائات كما خضع غيرها مما اضطرها للهجرة الى خارج العراق وتحديدا في الولايات المتحدة الاميركية حيث وجدت الدفا والحرية والاحتضان لقدراتها وعوضت ما كانت تعانيه في العراق كانت عضوة الهيئة الادارية لاتحاد الادباء لسنة٦٣- ٧٥

شغلت منصب نائب ممثل العراق في اليونسكوفي باريس كتبت الشعر الحروكتبت الشعر باللهجة العامية فأجادت في كليهما درست في معهد اعداد المعلمين (كلية الاداب) وقد تصادف وجودها مع اسماء فتية وواعدة في تلك الفترة من امثال بدر شاكر السياب وسليمان العيسى وعبد الرزاق عبد الواحد وكا ن قد تمخض عن ذلك الاحتدام في التنافس الشريف فيما بينهم ولادة الشعر الحر..

من المواقف الجميلة التي تلتصق بها عندما تم منحها وسام الارز في لبنان وهو اعلى وسام تمنحه الدولة اللبنانية تقديرا لابداعاتها في مجال الشعرانها رفضت تسلمه قائلة(على اي صدر احط الوسام ولبنان جرح في قلبي ينام) وقد كانت وقتها الحرب الاهلية الطائفية مستعرة في هذا البلد فكسبت حب البلاد والعباد ومنذ شبابنا ونحن نسمع بهذا الاسم وهو يرن في اسماعنا لكن للاسف لم تحضى شاعرتنا المبدعة لميعة عباس عمارة من تكريم ورد اعتبار لها من قبل الدولة العراقية مثلما حضي غيرها رغم ان الشعر كالفن كلاهما يصور الواقع عبر رؤية ابداعية مبتكرة واملنا ان تلتفت الدولة للذين ساهمو في ارساء دعائم الثقافة العراقية في المحافل الدولية وفي هذه السطور المتواضعة ومن هذا المنبرالحر احي شاعرتنا الكبيرة لميعة عباس عمارة واصفق لها فخرا وتبجيلا لانجازاتها الادبية وحيث انها ساهمت في حركة التحديث الشعري العربي بشكل مبتكر مع اقرانها الخالدين.

اذ قال (إذا كان في العراق مثل هؤلاء الأطفال فعلى اية نهضة شعرية مقبل ..) وتحقق توقع الشاعر وصارت تلك الطفلة شاعرة كبيرة فيما بعد.

عندما درست الشاعرة في دار المعلمين العالية – كلية الآداب – صادف أن اجتمع عدد من الشعراء في تلك السنوات في ذلك المعهد، السياب والبياتي والعيسى وعبد الرزاق عبد الواحد وغيرهم، وكان التنافس الفني بينهم شديداً، وتمخض عنه ولادة الشعر الحر الذي لا تكترث الشاعرة كثيراً في مسألة الريادة فيه.

بدأت بنشر قصائدها في الصحافة العراقية والعربية وكان اسمها يتردد بين شعراء تلك المرحلة.

وممن أشاروا الى شاعريتها المستعرب الفرنسي البروفسور (جاك بيرك) فذكرها في كتابه الذي صدر بفرنسا عن الشاعرات العربيات فذكرها ونازك الملائكة وفدوى طوقان.. فقال: لميعة عباس عماره شاعرة الرقة والجمال والأنوثة التي لاتنتهي ...

كما انها تتميز بالذكاء وسرعة البديهة، فحين كرمتها الحكومة اللبنانية بوسام الأرز تقديراً لمكانتها الأدبية– لم تتسلم الوسام (لان الحرب الأهلية قائمة) وكتبت تقول:

على أي صدر أحط الوسام
ولبنان جرح بقلبي ينام

إن لميعة ترى في اللغة العربية الفصحى وسيلتها للتواصل مع الآخرين الأوسع، لكنها تجد في لهجتها العراقية (العامية) ما يقربها من جمهورها المحلي الذي استعذب قصائدها فتحول بعضها الى أغنيات يرددها الناس.

ومن يقرأ قصائد الشاعرة لميعة يتوقف عند ملمحين أساسيين، الأول سعيها للتعبير عن أنوثتها أمام الرجل بوصفه صنوها لا عدواً لها تحاول استفزاز رجولته وإثارته، والثاني هذا الاعتزاز بانتمائها العراقي الواضح بعيداً عن المزايدات الوطنية، إنه التعبير عن ذلك الارتباط الروحي بأرض تعرف مدى عمقها الحضاري وأصالته، وكثيراً ما تغنت ببغداد، فبغداد هي العراق، تقول:

لان العراقة معنى العراق
ويعني التبغدد عزا وجاها

ولتعلقها بلهجتها العراقية تستهل أحدى قصائدها بمفردتين محليتين هما "هلا" و"عيوني" فتغني لقرى العراق ومدنه وناسه وتجد كل شئ جميل فيه، حتى قمر بغداد ترى أن له خصوصية وإن كان مشتركاً بين الجميع، أما سبق لحبيبها القديم الشاعر السياب أن قال "حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق؟" . تقول لميعة:

(هلا) و(عيوني) بلادي رضاها
وازكي القرى للضيوف قراها
بلادي ويملاني الزهو إني
لها انتمي وبها أتباهى
لان العراقة معنى العراق
ويعني التبغدد عزا وجاها
اغني لبغداد تصغي القلوب
وإلفي دموع الحنين صداها
وان قلت بغداد اعني العراق الحبيب
بلادي بأقصى قراها
من الموصل النرجسيه أم الربعين
والزاب يجلو حصاها
الى بصرة الصامدين نخيلا
تشبث من أزل في ثراها
وأسكنت نفسي أقصى البعيد
وقلت غبار السنين علاها
فما نستني عيون النخيل
ولا القلب والله يوما سلاها
واعرف انه قمر للجميع
ولكنه قمر في سماها

وهكذا تغدو بغداد هي العراق لذا فالشاعرة تعشق كل ما فيها من أرض وجو وبشر، فأحبت ملايينها العشرة وحين تضطر لمغادرتها تحملهم في قلبها تتذكرهم وتتذكرها وتغني لهم وقد مر قطار العمر سريعاً، ورغم اتساع الأرض يبقى الهوى بغداد (شعر عامي):

عشر الملايين الهواهم ولا لي عوض ،
فاركتهم بالرغم فرض علي انقرض
وما صاحبي بعدهم غير التعب والمرض
والدمعتين التنام بشعري تالي الليل
اكول خلصت وثاري الخلص
بس الحيل أدري جبيرة الأرض
بس مالي بيهاغرض

ولفرط حبها لبغداد ومعالمها تغني لجسرها المعلق الذي يربط بين جانبي الكرخ والرصافة في أجمل مناطقهما يقول مطلعها:

لِها الرّصافة في الهوى سِفْرُ
لَعيونها يتفجّرُ الشِعْرُ

وبعد أن تستذكر أَبا نؤاس وغيره تقول في حيرة ممزوجة بالحب لا يدركها إلا من أحب وطنه بصدق، فيتحول هذا الجسر الحديدي الى روح متحركة تشعر بنا مثلما نشعر بها:

يا ثقْلَ)كرخيَّ) نُجاذبهُ
لُطفَ الهَوى ووصالُه نَزْرُ
مُتَردِّن بالزَهو، أعْجَبَهُ
أنَّ الأَحبةَ حَوْلَهُ كُثرُ يدنو،
فتَحْسَبُ أنتَ لامسهُ
ويغيبُ ليس لليله فجرُ
ويقولُ: "مشتاقٌ" وفي غَدِهِ
يتمازجانِ:الشوقُ والهجرُ
ونُريدُهُ، وَنُلحُّ نطلبهُ
فيجيئُنا مِنْ صوبه عُذرُ
ويظَلُّ هذا الجسرُ يُفصِلنا
وكأنَ دَجلةَ تحتهُ بحرُ
خُلقَتْ جسورُ الكون موصلةٌ
إلا "المعلق" أمرهُ أَمرُ
ورواية أخرى
خلّفتُ جسورَ الكونِ موحلةً
إلا "المعلقَ" أمرهُ أمَرُ

تعمدت الشاعرة بمياه دجلة حيث ولدت في بغداد وترعرعت على مياه الفرات وبين هذين النهرين العظيمين أشادت مجدها الشعري، وقد كانت شاعرة تمتلك من الجرأة والتمرد ما سبق عصرها وهي التي أكملت الجامعة في الخمسينات، تعيش هذه الشاعرة غريبة في الولايات المتحدة تلوك غربتها وحدها، وكلما زارت بلداً عربياً قالت هذه فرصة أن لا أموت في أمريكا، هذه السومرية التي ما زالت تتميز بصوت أنثوي يمنح إلقاءها سحراً أخاذاً.

(أصدرت الشاعرة العراقية الكبيرة لميعة عباس عمارة ديوانا شعريا باللهجة العامية، وهو السابع في سلسلة نتاجاتها الشعرية والوحيد الذي خرجت به عن الفصحى، وقد حاولت تفسير ذلك بأنه جاء بناء على دعوات أصدقائها مخافة ان يسرق او يضيع شعرها العامي، وبخلاف ذلك فانها تتمسك بالفصحى لغة وحيدة للشعر.

ذكرتها موسوعة WHOIS WHO ضمن النساء المشهورات في العالم، وترأس حاليا مجلة (مندائي) التي تصدر في الولايات المتحدة الامريكية وهي مجلة ناطقة باسم الطائفة المندائية– الصوت الآخر).

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

ذكرتك يا لميعة والدجى ثلج وأمطار، ولندن نام فيها الليل، مات تنفس النور. رأيت شبيهة لكِ شعرها ظلم وانهار وعيناها كينبوعين في غاب من الحور مريضا كنت تثقل كاهلي والظهر أحجار.

احن لريف جيكور، واحلم بالعراق: وراء باب سدت الظلماء، باب منه والبحر المزمجر قام كالكسور على دربي، وفي قلبي وساوس مظلمات غابت الاشياء وراء حجابهن وجف فيها منبع النور. ذكرت الطلعة السمراء، ذكرت يديك ترتجفان من فرق ومن برد تنز به صحاري للفراق تسوطها الأنواء. ذكرت شحوب وجهك حين زمر بوق سيارة ليؤذن بالوداع. ذكرت لذع الدمع في خدي ورعشة خافقي وأنني روحي يملأ الحارة بأصداء المقابر. والدجى ثلج وأمطار.

بدر شاكر السياب

لندن : ٢-١-١٩٦٣

من «منزل الاقنان»

لميعة عباس عمارة تتذكر بدر شاكر السياب

تدنيس الانسان ولكنه لا ينسى صميم حياته × كان بدر بالنسبة لي الصديق المنتظر والرجل الذي خططت كل حياتي لأن التقي به × كنت أود أن يدرك أن الحب عالم الشعراء ... فما عرف هذا ... علاقتي بالسياب لم تكن عادية ... لا في حياتي ولا في حياته × لماذ كان السياب يقول بأنه رجل شقي محكوم عليه بالألم ..؟

وما من عادتي نكران ماضي الذي كانا.

ولكن .. كل من أحببت قبلك ما أحبوني ولا عطفوا علي

عشقت سبعا كن أحيانا ترف شعور من علي، تحملني إلى الحسين سفائن من عطور نهودهن. أغوص في بحر من الأوهام والوجد فألتقط المحار أظن فيه الدر

ثم تظلني وحدي جدائل نخلة فرعاء فأبحث بين أكوام المحار

لعل لؤلؤة ستبزع منه كالنجمة، وإذ تدمى يداي وتنزع الأظفار عنها لاينهز هناك غير الماء، وغير الطين من صدف المحار، فتقطر البسمة على ثغري دموعا من قرار القلب تنبثق،

لأن جميع من أحببت قبلك ما أحبوني.

وتلك؟ وتلك شاعرتي التي كانت لي الدنيا وما فيها، شربت الشعر من أحداقها ونعست في افياء. تنشرها قصائدها علي : فكل ماضيها وكل شبابها كان انتظارا لي على شط يهوم فوقه القمر. وتنعس في حماه الطير رشى نعاسها المطر. فنبهها فطارت تملأ الآفاق بالأصداء ناعسة. تؤج النور مرتعشا قوادمها. وتخفق في خوافيها، ظلال الليل أين أصيلنا الصيفي والأعناب تحلم في دواليها؟ تفرقت الدروب بنانسير لغير ما رجعه وغيبها ظلام السجن تؤنس ليلها شمعة فتتذكرني وتبكي. غير أني لست أبكيها. كفرت بأمة الصحراء ووحي الأنبياء على ثراها في معاور مكة أو عند واديها.

بدر شاكر السياب

تصريح منه وتلميح منها وحكايات يرويها الاصحاب والزملاء، حتى غدت "القصة" مدار كتابات، ومجال بحث .. بدر شاكر السياب ولميعة عباس عمارة... هما الطرق العادلة، المجهولة في الكثير من تفاصيلها، حتى جاء "زمن الموت"، موت الشاعر ليلعن الكثير. كان الشاعر يموت .. وإذا موته أشبه بما يكون بـ« طائر الفينيق» بالنسبة لذلك الحب القديم، العنيف، القاسي، : فجأة ينبعث من رماده .. يقوم .. ويحيا .. أنها « قيامة الحب « .. ولكن أي حب هو ؟. أنه ليس حب واحدة من « بنات القبيلة «، ولا هو حب « ابنة العم «. هنا، كما يبدو كان التقاء روح وروح .. شاعرية وشاعرية. شاعرة وشاعر ... ويحدثونك عن أخبارهما .. كان الأصحاب – أصحاب الشاعر – يخشون ذكر أسمها أمامه إذا ما أرادوا لجلستهم معه أن تسير في مجرى من الصفاء .. قال واحد : تجنبوا ذكر أسمها أمامه، وألا انقلبت جلستنا إلى مناحة ... قال آخر : أنه كثيرا ما كان يسأل عن أخبارها .. أما الثالث فقد أكد بأنه حين ذكر لها وضعه أيام المرض شاهد الدموع تهطل من عينيها .. وتتواتر القصص والروايات .. والحقيقة تقول شيئا، والخيال ينسج أشياء .. وللشعر، هو الآخر ما يقوله : شعره هو، وشعرها .. الطرف الأول مات في الرابع والعشرين من كانون الأول عام ١٩٦٤ .. والطرف الثاني ما يزال حيا .. وحيا بامتلاء : النفس، والحياة، والذاكرة ...

وانتهى العام بسلام : بدر بالنسبة لي، كان شيئا أرغب فيه وأتجنبه ... أرغب فيه من ناحيتي، وأتجنبه عطفا عليه، ورأفة به ..

(بهذا التأكيد الواثق تبدأ لميعة عباس عمارة حكايتها).

ـــ كان شاعرا .. وكنت شاعرة .. تجنبته سنة كاملة، كنا خلالها نلتقي ضمن مجموعة كبيرة من الطلاب والطالبات .. فأسمع له شعره ..

(صمت في كل ارتعاشة ... صوت راهبة كان صوتها، الكلمات كتراتيل حزينة .. فنحن في حضرة الموت، والتذكر).

تعمدت أن لا أكون قريبة منه .. فقد كنت أدرك مكامن شخصيتي، وأعرف أي انسان هو، فلم أشأ أن أدخل المأساة إلى حياته ... وشغلنا كلانا بمراقبة الطالبات الجميلات .. أسمع له قصيدة بشعر هذه، وأخرى بعيني تلك وغمازتي الثالثة .. فأشغله مبتعدة به عما أحسه خطرا .. وأنتهى العالم بسلام ..

عام بعده عام:

ـــ أستعد الطلاب للسفر إلى أهلهم .. وفي اليوم الأخير كنت في المكتبة .. أقترب بدر مني بخجل، وفي يده كتاب صغير ... فقال : "أود أن تقبلي مني هذا الكتاب هدية" .. وعندما لمحت العنوان (أشهر رسائل الغرام) رمقته بنظرة معاتب، فأدركها مرتبكا وقال : "لا يهمك العنوان .. ففي الكتاب تاريخ وقطع من المشاعر الأنسانية العالية أحب أن تقرأيها" ..

في العام الثاني : (كأن الأشياء في ذهنها قد حدثت أمس .. تقولها وكأن سجلا بها مفتوحا أمامها تقرأ فيه ..) عاد بدر إلى الصف الرابع – قسم اللغة الانكليزية – وعدت أنا إلى الصف الثاني – قسم اللغة العربية .. في هذه المرة بدأنا نقترب أكثر، معتمدين على صلابة الخلق ندعيها .. فأنا أقدم له النصائح العاطفية حين أجده ملتاعا من هجر، أو متشوقا لأحدى الزميلات .. وكان يبدو لي أشبه بطفل أمام أمه .. كنا نتسلى أحيانا في الحديقة بأن اكتب بيتا من الشعر، فيكتب تحته بيتا آخر، نتحدث في شؤون عامة .. وربما تحدثنا في السياسة والاضطرابات .. ولكنه في يوم من هذه الأيام كتب في نهاية الورقة بيتين يعترف فيهما بأننا كلينا، نتهرب من الحقيقة .. قال:

نحوم حول المعاني البعاد
كما حام طير على مورد
ولكنه لا يمس المياه
سيمضي من الزمان ويبقى الصدي

مفترق الطرق :

في العام (١٩٤٨-١٩٤٩) حدثت أشياء كثرة .. وخاصة في المجال السياسي .. فقد تنامى الشعور السياسي بعد تقسيم فلسطين بشكل قومي مطلق في بادئ الأمر .. ثم تحول إلى نزاع بين الفئات السياسية ... كان بدر ممن فصلوا، وهو في الصف الأول لأسباب سياسية .. ويبدو أن هذه التجربة قد أفادته تعقلا في الصف الرابع، فلم يكن طرفا عنيفا في النزاع، بل بدأ في الوقت نفسه، صراع آخر بينه وبين بعض القوى السياسية .. صراع خفي لم يتكلم بدر عنه لأحد .. وكل ما سمعته منه هو تلميح، بأن تلك القوى تعيب عليه كتابته الغزل، مع كل ما قدمه من قصائد سياسية. قال لي مرة منفعلا: "إذا جرح عامل فيجب أن أثور وأن وأكتب .؟ وإذا كنت أنا الجريح، وأنني أموت وأتمزق فلا يحق لي أن شيئا عن نفسي ؟"

لكنه وقع في المأساة التي كنت تخشين عليه الوقوع فيها. (بنوع من الجزم القاطع تؤكد لميعة).

أشك في أن احب واحدة .. كان بدر أبن اللحظة في حبه .. أبن الانفعال الآني .. لايعرف أبعاد الحب الحقيقي ... ولا يدري أن العذاب الذي هو فيه يجب أن يطيله، فهو دائما يختصر بالقطع غاضبا، ثائرا .. يفسر الحب أنه " بيت زوجين "، وأن امرأة لا ترضى أن تكون له زوجة حبها زائف وعواطفها كاذبة. كنت أود أن يدرك أن الحب عالم الشعراء، وبأني مرتاحة تقدم النصائح لمقلق معذب .. ولا أظن انه فهمني ..

-ولكن في شعره ما يناقض هذا الذي تقولين .. أنه يخاطب زوجته بقوله : " أحبيني " .. لأن جميع من أحببت قبلك ما أحبوني .. ولا عطفوا علي "

هذا يصدق على أكثر النساء اللواتي أحبهن بدر، ولا يصدق كلهن ... (وكأنما تستحضر صورته .. تستعيد وضعه السايكولوجي حين تؤكد) : كان مبدأ " الشك الديكارتي " يأكل قلبه .. لم المرأة التي أحبته، وكتبت له، ورأى دموعها، لأنه لا يثق بنفسه .. ولم يكن يجد من المعقول أن تكون كل هذه العواطف، وكل هذا الحب له، ومن هذا المنطلق كان يتهجم عليها عبر قصائد غزله التي كتبها لها .. فليست هناك من قصيدة له تخلو من أشارة خفية أو واضحة، لشكه بهذه المرأة، وسوء ظنه بها ..

-ربما كان ذلك متأتيا من أحساس بعذاب العلاقة ..؟

طبعا .. لأنها ليست علاقة عادية، لا في حياتي ولا في حياته .. وكان يحس بهذه الندرة فيقول لي : " أتظنين أن لقاءا كهذا يتكرر في العالم بسهولة .؟ كم أليزابيث براوننج وروبرت براوننج عرف العالم .؟ ماذا كانت " ولادة " ؟ أنها تافهة .. لم تكن شاعرة أصلا .. " كان هناك شيء يهتم له كثيرا .. ويتمثل له بأغنية " أسمهان " : أنما اهل الغزل .. كلما خافوا الملل .. أنعشوه بالقبل.

كانت القبلة عنده تعني الحب .. ولكنها في الوقت نفسه، تعني عند صاحبته الاثم والخطيئة. فالحب عندها حلول صوفي، وتفان بلا زمن، ولا غاية .. هذه هي نقطة الاختلاف بينهما.. هي ترى أن الحب غاية بذاته .. وهو يراه "الاتحاد الكامل" في الزواج .. وكان ينمي فيه هذا الشعور شبابا متعطشا، وحياة جامدة نسبيا، في بيت الطلاب (القسم الداخلي).. وكان يقول لها: أنك لا تحبينني.. فكانت تستغرب منه هذا المفهوم الخاطئ للحب، وتجاهد أن تصححه.

الجسور الحرجة في جيكور:

(ونعود إلى الشعر، فهو "مفتاح الأسرار". لمحة هنا .. ونبرة صوت هناك تضع وراءها الكثير من القصص والحكايات، وتنطوي على ذكريات غير قليلة .. وعلى مواقف كذلك..)

نعود إلى القصيدة .. أنه يقول : « أين أصيلنا الصيفي في جيكور « .. فحدثينا عن ذلك يا لميعة ...

لم يكذب .. فقد دعانا بدر عدة مرات لقضاء أيام في جيكور .. والبصرة حارة المناخ في الصيف، في الوقت الذي كانت فيه عطلة الصيف هي الفرصة الوحيدة التي يمكن أن نسافر فيها .. فسافرت مع خالي، الذي هو في سني، وكانت

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

تربطه ببدر رابطة صداقة .. فكان مع بدر في استقبالنا عمه الأصغر .. كانت رحلة طويلة ، ابتدأناها بالسيارات ، ثم تركنا السيارة ، إذ كان علينا أن نمشي في أرض مليئة بالشوك .. تحملنا ذلك طبعا .. وصادف أن وصلنا متأخرين .. ولكنهم كانوا بانتظارنا .. العم يحمل فانوسا ، بينما كان بدر يقوم بايصالنا .. وحين كنا نبلغ المعابر على " بويب " (وهي جذوع النخل) كان بدر يمسك بيدي .. (فقد كنت أخاف العبور على مثل هذه الجسور الحرجة) .. وكان أرتعاش ضوء الفانوس وانعكاسه في النهر في تلك الزيارة قد انعكست في شعر بدر .. فأنت لو فتشت شعره لوجدت الكثير في ظلالها . ثم الثوب الأسود .. الذي كان يلازمني منذ دخول الكلية ، أي منذ معرفتي بدر ، حتى تخرجي وحتى زواجي (كنت ألبس الحداد على والدي) ، تلاحظ أن بدر حتى حين يصف أشباح الأموات يخلع عليها الرداء الأسود .. مع أن الأموات تلبس البياض .. لكن حتى شبح " وفيقة " يلوح بثوبه الأسود .. لأنه لم يرني ألا مرة واحدة بغيره .. وكان ذلك عام ١٩٥٨ في اجتماع الهيئة المؤسسة لاتحاد الأدباء العراقيين ، في بيت الشاعر الجواهري .. (ولهذا حديث طبعا) ..

وبعد ..؟

كانت الضيافة بصرية .. وأعجبني من البصرة ، ومن جيكور بالذات استقبال الناس لنا فيها (أقارب بدر وعماته) ...وأتذكر نوعا من المخلل المصنوع من البمبر ، أحببته .. أمضينا عندهم ليلة . كانت معنا " إقبال " التي أصبحت زوجته فيما بعد . والمبيت في البصرة شيء غريب .. إذ كان يجب أن ينام كل واحد تحت " كلة " اتقاء الندى الكثيف المتساقط ليلا .. طبعا كان بدر في الليل وفي النهار مشغولا بالشعر .. كان يقرا وكنا نسمع ونتحدث .. وكان ينكت .. وعند الأصيل أخذنا زورقا وسرنا به في أحد فروع " شط العرب " تحت الظلال " الصفصاف الباكي " .. حتى أن بدر كان يصطحب معه مظلة كان يريد أن يظللني بها من الشمس ، فما رضيت ، لأنني – لا ادري – كنت أحس أن أي تلطف يخصني به دون الآخرين فهو " زيادة " .. فكنت أرفضه .. حتى تظليلي من الشمس ما كنت أرضى أن يقوم به .

انها نوع من القسوة .. أليس كذلك ؟

لا أعتقد أن في هذا نوعا من القسوة ، لأنني أعتقد أن أنسانا ما حين يزور أنسانا آخر ، ويمضي معه كل هذا الوقت الطويل ، يكون له الحق أن يتصرف بجزيئات الوقت ..

العقدة الكبيرة :

(وتظل القصيدة تلح ، تضرب .. ففي أشاراتها الكثير من الأشكالات التي تحتاج الايضاح.. وما دمنا في « معارج التذكر « فلنمضي) ..

كفرت بأمة الصحراء ..

ووحي الأنبياء على ثرائها .. الخ .. (ولميعة ي « حضرة الاعتراف « بصوتها الخاشع ، المتبتل .. توضح (لو تلاحظ كل الأديان السماوية فأنك ستجدها نزلت من هذه « الصحراء العربية « في الصحراء ، او ما جاورها .. و « العقدة « التي وقفت – في رأي بدر فهي رأي صديقته بوجه زواجهما هي « عقدة دينية « . ومن هنا فهو يكفر بهذه المعتقدات ، لأن هذا هو ما جعل بدر في ناحية ، وحبيبته في ناحية أخرى .. (هذا شرح للمقطع أن أردت ..) تفرقت الدروب بنا نسير لغير ما رجعة..

كان بدر يعتقد أنه أصبح في " الخط السياسي " المعاكس لهذه المرأة . ولكنه كان محمولا بحقد بغيض . ربما على نفسه .. على المجتمع الذي ظلمه . كان مندفعا كما يندفع المنتحر لأن يهدم . (والمنتحر يهدم أعز شيء لديه ، وهي حياته) ، فنال الكثير من أصدقائه وشتم ، وكفر بكل القيم التي كان يؤمن بها .. بينما هي لم تكفر ، وبقيت كما أعرفها . فقال : أن الدروب تفرقت بهما – سياسيا- لغير ما رجعة .. وأنه لم يبك لها ، (كأنما الرجولة أن لا يبكي الرجل حين يجد حبيبته في مأزق) ، أنما هي بكت له حين سمعت بوضعه الصحي في مرضه الأخير .. فهو يفخر بأنها بكت له .. وهو يفخر بأنه لم يبك لها في ضيقها .. ويعتبر هذا رجولة .. (وهذا عندي يمثل نوعا من الجهالة التي بدأ يتصرف بها ضد نفسه . وطبعا ضد أحبائه) ..

ذات الغمازتين .. واللعنات :

كيف كان يبدو لك « بدر أمام المرأة «..؟

البنات حول بدر كثيرات في الكلية (فالمجتمع مجتمع كلية) .. ومن الصدف أن تلك السنة حشدت اكبر عدد من الجميلات في « دار المعلمين العالية « ، ومن المترفات أيضا . فكان الفرق كبيرا جدا بين مستوى الطالبات ومستوى الطلاب .. الطلاب يمثلون الكادحين ، والطالبات من طبقات مترفة .. فكانت العقدة موجودة من يوم القبول في الكلية ، متمثلة بهذا التفاوت الطبقي . كل فتات تحلم أن يكتب فيها شعاعرا بيتا من الشعر .. لا أدري لماذا ، ربما أستيفاء للغرور .. غرور المرأة .. وكان بدر يدرك هذا الضعف ، ويدرك أن الطالبات يتحشدن حوله ليسمعنه .. أنا كنت أحدى هؤلاء ، أو احد الحاضرين ، لأني لم أكن أقف موقف الطالبات الأخريات .. نجلس .. وتأتي الطالبات ليستمعن ..

بدر : بصمت ، بهدوء ، وان يكون هدوءا يخفي اضطرابا عنيفا (يقال أنه في القسم الداخلي كان لا يستطيع أن يهدأ أو يرتاح .. فكان الأخوان يهدؤونه)... كان يشعر أن هذا البعد ليس بينه وحده وبين الطالبات ، وإنما هو وبين كل الطلاب وكل الطالبات .. ثم أن بدر لم يكن يتميز بالوسامة .. فلم يكن يؤمل أن واحدة من هؤلاء مهما كان مستواها في الجمال ، ترضى أن يكون « هذا « حبيبها .. فكان يكتب قصيدته بحذر ويقراها .. وربما كانت المعنية تسمع ، من بين السامعين « فتحزر « أن القصيدة لها ، ولكن ، صراحة ، لم يكن يقول لها .. وإلى هذا الحد تنتهي علاقة الطالبة ببدر .. واحدة منهن كانت أشجع ، وأكثر تجربة من بدر ، هي « ذات الغمازتين « .. هذه شجعته ، ربما كانت تريد أثارته ليكتب الأحسن .. (« ذات الغمازتين « مترفة أيضا) ، ولكن بدر أدرك أخيرا أن ما تبديه له هو مجرد تشجيع ، فشتمها أبشع شتم في قصيدته « لعنات « .. لكن العجيب أننا كنا نستعيد « لعنات « ، على الرغم من انتقال « ذات الغمازتين « إلى كلية أخرى ، فنعرف أنها مصير أية واحدة من الحاضرات .. (يعني اليوم يتغزل بواحدة ، وغدا ربما توجه أليها نفس هذه اللعنات) !

الصديق المنتظر :

تؤكدين أن ليست هناك واحدة ترضى أن يكون بدر حبيبها .. فهل كان يحس بهذا النقص الذي شكل عنده خيبة على صعيد النساء ..؟

هو لا يفصح عن مثل هذا النقص .. كان يدرك أنه الشاعر .. وانه الخالد .. وانه كان يكتب للخلود ، وأن هاته النساء ما هن ألا أدوات خلوده ، وبواعث للقصائد .. ولكنه ، مع ذلك ، كان أحيانا يفرض أنه الرجل ، ويريد من المرأة أن تبادله علاقة المرأة بالرجل .. وهو يدرك أننا في مجتمع محافظ ، وفي الكليات كان من التجديد ، حينها ، أن تجلس الفتيات مع الطلاب ، أن يشربن الشاي معهم أو يخرجن في سفرة جماعية.. هذا كان تجديدا في ذلك العصر .. (والله اسميه عصرا ، لأن ٢٥ سنة مرت عليه) ...

دعينا ندخل أكثر في صميم العلاقة .. علاقتكما ، صراحة ماذا كان يعجبك في بدر ..؟

صداقاتي دائما ، لا تبنى اعتباطا .. يعني أن صداقاتي مبنية على تفهم من اختاره صديقا ، مع تقييم مني لكل مواهبه وذكائه ، وللانسانية فيه ، ولاتجاهه السياسي كذلك .. كل هذه العوامل ، مضافا أليها دماثة « خلق بصري « كانت في بدر ... بمعنى أخر أن بدر كان بالنسبة لي الصديق المنتظر ... الرجل الذي خططت كل حياتي لأن ألتقي به ..

وهل يدرك هذا ..؟

لا أظن .. ولا أحسب أنه أدركه حتى موته .. لأنه لا يمكن أن يصدق .. فقد مات وهو على شك من أن امرأة كانت تقيم فيه شخصيته ، ولا تهتم مطلقا بشكله . كان لا يستطيع أن يجرد « الشكل « . (فهو كرجل ، كان نحيف البنية ، ليس طويلا ، له أذنان كبيرتان ومنتصبتان ، وأنف طويل وعريض ، وعيون صغيرة ، وفم واسع بأسنان عريضة مندفعة إلى الأمام ، ونقن صغير راجع إلى الخلف ، وأعصاب متحفزة دائما لأن تجعله في حالة اضطراب يفقد فيها توازنه..) كل هذه كان يدركها في نفسه طبعا .. فلم تكن لتعطيه الجرأة لمقابلة المرأة ، بشكل جريء ... كان يتصور أن النساء يحببن شعره .. وأنهن يهتممن بالشعر لا بالشاعر .. (وتتذكر لميعة .. فوصف

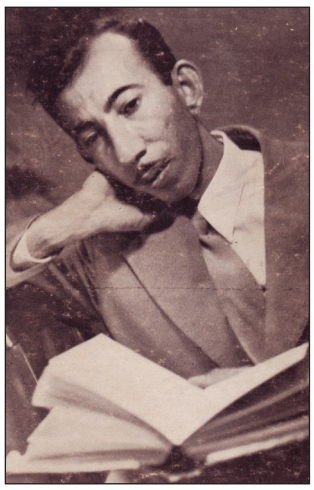

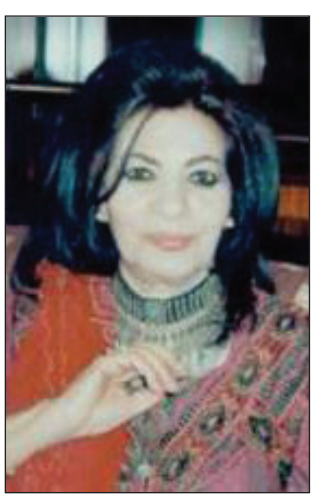

الحالة يدفع إلى الذاكرة بحادثة ما ، وقعت ، وكانت شاهدها .(

مرة مررت به ، كان قد مزق ديوانه وألقى بأوراقه ، وجلس على حافة الحديقة ، على الأرض .. وكان يبدو في حالة مخيفة من الألم .. لم أجرؤ أن أسأله بنفسي . فسألته صديقة لي كانت معي ، بينما ابتعدت أنا عنهما .. قالت له : لم أنت في هذه الحالة .؟فأجابها : أن المرأة التي أحبها لا تحبني .. أنها تحب هذا الشعر وقد مزقته فأنتهت علاقتي بها .. إذا مات الشعر فهي لا تحبني .. أما أن كانت لي قصيدة جديدة فتأتي لتسمعها ، وأن لم تكن لي قصيدة كانت تتشاغل عني بالدروس .. هذه امرأة لا تحبني ... أن الحب من طرف واحد .. وأنا رجل شقي محكوم علي بالألم ..

كنت محفزا له :

هل نستطيع القول أنك أثرت عليه من ناحية ما .. ؟

هذا شيء يقيمه النقاد ..

أنا لا أعني " التأثير الخارجي " الظاهر ، أنا أبحث في التأثير السري واسأل عنه ..؟

فترة لقاءنا التي دامت سنتين ، وما تبعها ، يجد النقاد والدارسون أثرها واضحا في شعر بدر .. في كمية الشعر .. في اتجاه الشعر .. في التجديد .. القصيدة الحرة الأولى التي كتبها (هل كان حبا) ولدت على يدي .. (يعني أول قصائد بدر الحرة التي كتبها هي قصائد لي) .. فإذا لم يكن لي سوى هذا التأثير ، أو هذا التغيير فقط ، فهوة كاف . في نظري .. (وكما الفكرة تتلو الفكرة ، كذلك الاعتراف يتلو الاعتراف ، وتمضي لميعة): كنت محفزا له لأن يكتب .. فقد كان يريد أن يقرأ لي شيئا غريبا .. وشيئا جديدا ، وشيئا يستفزني .. ولم يكن ذوقي هينا . أن أكثر الشعراء حينها ، من زملاء الكلية كانوا يعرضون علي قصائدهم ، مع أني كنت في سن صغيرة ، لكن رأيي كان مهما عندهم . مثلا .. بدر يسمي ديوانا كاملا له باسم " أساطير " .. (وكلمة " أساطير " تتردد بكثرة في شعره ، وتفتح له فيما بعد ، باب الأساطير.. على الأساطير التوراتية واليونانية والبابلية) . هذا الباب الذي فتحه أمام بدر ..؟ أعتقد أن مناقشتنا المستمرة ، وتسميتي للقيود الاجتماعية باسم " الأساطير " هي الأساس .. ففي واحدة من قصائد تلك المرحلة الأولى أقول : أساطير نمقها الخادعون وأشباح موتى تجوب القرون لتخنق أجمل أحلامنا وتعبث فينا ، فيا للجنون ... يأخذ بدر هذا المقطع ، فيكتب قصيدة " أساطير " ويعلق عليه بقصيدة أخرى ، يروح يدخل في جو الأسطورة. (هذه الأساطير التي عذبت البشر ، وفتتهم)..

وسألتني نازك :

مرة سألتني نازك الملائكة قالت : أنني كتبت في مذكراتي أنك تأثرت ببدر في قصيدتك « شهرزاد « لأن لبدر أشارات للأساطير، ولهذا النوع من الحب .. فذكرت لنازك ، وقد تيقنت فصححت ، أنني كنت أقرأ لبدر مقاطع هذه القصيدة التي لم أنظمها في ليلة واحدة . ففي كل مرة كنت اكتب مقطعا منها ، وكان بدر يعلق هذا المقطع ويجيب عليه بقصيدة .. فكانت ضلال شعري تنعكس في قصائده .. (وأنا لم أنشر قصيدتي هذه ألا بعد سنة ، أو اكثر في كتابتها).. ولكن الذي لا يعرف الحوادث يظنني متأثر به ... في حين أنني حرصت ان أبتعد عن كل مجالات بدر الشعرية ، لأنني لاحظت أشياء خطيرة .. أولا ابتعدت نهائيا عن الشعر « الشعر الحر « لأنني تصورته خاصا ببدر ، فلم أكتب قصيدة حرة واحدة في الفترة التي عرفته فيها .. (يعني أمانة) .. لأنني شكا لي مرة أن نازك بدأت تتأثر بأسلوبه الجديد . فلم أكن أريده أن يشكو مني .. والشيء الثاني في ابتعادي هذا عن مجالاته الشعرية ، وأجوائه لأن صحبتي لبدر، وعدم ثقة الناس بامرأة تستطيع أن تكتب شعرا ، ربما يجعلهم يتصورون أن بدر هو الذي لي قصائدي . (وقد سرت هذه الشائعة بالرغم من جميع هذه التحفظات) .. هناك قول لبدر أخجل عن ذكره ، لأنه لم يكتبه ، فحين كنت أقول له« ستمضي ، فمن لي بأن أمنعك
ستمضي ، فهل لي أن أتبعك
فشعري ، وحبي ، وعمري سدى
إذا لم أمتع بعيشي معك .. سأهواك حتى تجف الدموع بعيني ، وتنهار هذه الضلوع
ملأت حياتي ، فحيث ألتفت أريج بذكرك منا يضوع ..»

قرأت له القصيدة .. إلى أن وصلت قولي فيها : « ففيك عرفت النبي الوديع .. « فقال (بتأثر ، بانفعال) : أني أخجل أن أنظم الشعر تجاه هذا الشعر ..

استغربت أن تصدر من بدر مثل هذه الكلمة ، وظننتها سخرية منه يطلقها بهذه الفتات الصغيرة ، فقلت : أتقول هذا .؟ هل أنت جاد .؟ قال : أني جاد ، فهذا شعر يخجلني أ، اكتب أمامه شعرا ! هذا كان رأي بدر بشعري .. بينما الآخرون لم يكونوا على معرفة دقيقة بحقيقة علاقتنا ..)

ماذا سأكون لو ألتزمته :

ومن الأشياء التي جعلتني ابتعد عن بدر هي هذا الظن مني : ماذا سأكون لو ألتزمت بدر.؟ ظل له .؟ (فأنا متهمة بأنه هو يكتب لي قصائدي) تقليد لخط بدر الشعري ..

(يعني أنا أشعر أنني إنسان مستقل ، ولا يمكن أن يؤثر بدر علي .. من الممكن أن أؤثر عليه – وقد أثرت فعلا من خلال مناقشاتنا الشفوية الكثيرة ..) لو عدت إلى شعري لوجدت أنني خلال علاقتي ببدر لم أكتب شعرا كثيرا .. كنت اكتفي بأن نتحدث .. بينما كان هو يؤمن بأن الكلمة المكتوبة هي « الكلمة الخالدة « .. فكان يكتب كل يوم قصيدة ، ربما .. بينما كنت أنا أتحدث فقط .. (أحاديثنا كانت شيقة ، مثيرة ، فيها كل الثقافة ، وكل الأحاسيس ، وكل المشاعر التي هي ربما ...) كنت الهم الشاعر فيه ، ولم أكن آخذ منه شيئا..

أذن ، أين تأثيره .؟

بدر ، من النواحي الفنية لم يؤثر في شيئا .. وأقول : أني أنا التي أثرت فيه .. لكن أنا تأثرت بمرور بدر في حياتي .. فلم يكن بالإنسان البسيط الذي يمكن أن ينسى .. هو لا يعرف قيمة نفسه .. لا يدرك مدى تأثير شخصيته بالنسبة لي .. لكنني أنا ، سأبقى أحتفظ بكل ذكرياته .. وبكل محبتي له .

يعني قولي : « سأهواك حتى تجف الدموع بعيني ، وتنهار هذه الضلوع « الذي أتخذه هو سخرية ، وبنى عليه قصيدة ، انتهى فيها بان القول " سأهوى " .. أجل تصدقين .. كان مخطئا في ظنه بي.

م. الف باء عام 1970

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2568)
السنة العاشرة
الخميس (16)
آب 2012

أول لقاء مباشر مع لميعة عباس عمارة وشعرها كان في بغداد، على إحدى قاعات كلية الهندسة، في أواخر عام 1969 أو مطلع عام 1970. كنت ما زلت حديث العهد ببغداد وعالمها الثقافي والسياسي، وذلك بعد غياب طويل عنها خلال فترة الدراسة. أخبرني اخي (كان طالبا في كلية الطب) عن ندوة ثقافية ينظمها اتحاد الطلبة، يشارك فيها لميعة وعبد الرزاق عبد الواحد.. اتصلت بصديق قديم من الطائفة المندائية، أعلم جيدا انه سيشعر بنشوة كبيرة وهو يستمع الى شاعرين من طائفته، بالرغم من معرفتي بانه لا يطيق سماع الشعر بكل أنواعه..

لميعة عباس عمارة تكتب عن السياب والحزب الشيوعي

عدنان عاكف

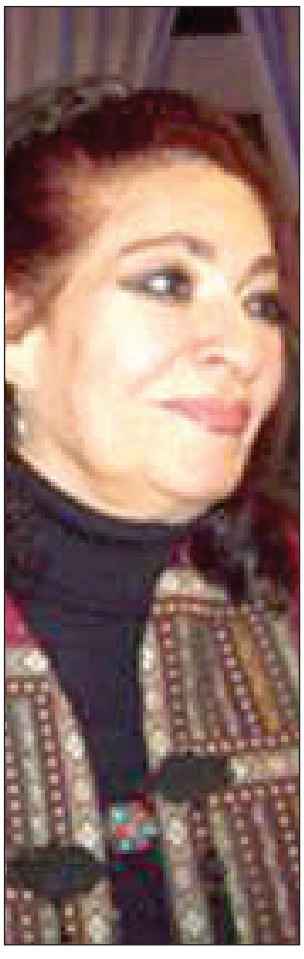

بدأ الشعر، وأطلت لميعة وسط عاصفة من التصفيق، وكان أكثر المصفقين حماسا هو الصديق المندائي..

– أعلم جيدا انك لا تحب الشعر ولا تفهم فيه ؟ لم هذا التصفيق ؟

– لكني أعشق لميعة وأفهم بالجمال!

بعد انتهاء الأمسية، ونحن نستعد لمغادرة القاعة قرب فمه من أذني وهمس :

– أتعرف من هم الجالسون في هذه القاعة؟

– من؟

– مجموعتان لا غير : الشيوعيون الذين جاءوا ليستمعوا الى الشعر، ورجال الأمن الذين حضروا ليراقبوا...

قبل فترة اتصل بي صديقي القديم وسألني ان كنت قرأت ما نشر مؤخرا عن ذكريات الشاعرة الجميلة عن السياب والحزب الشيوعي ، فأجبت بالنفي. عندها أخبرني بالموقع، وأضاف:

– تذكرتك وتلك الأمسية الشعرية في كلية الهندسة.. أتذكر عندما سألتك عن جمهور لميعة ؟ والله حين قرأت ما قالته شعرت بالشفقة على أخيك، أما أنت فتستاهل ...

وما نشر كان عبارة عن مقابلة صحفية مع الشاعرة تحدثت فيها عن سنوات الجامعة وسنوات الشعر الأولى. وقد تطرق الحوار الى الشاعر السياب. يسأل الصحفي عن السياب :

– وماذا عن انتماءاته السياسية؟

× كان في أول مرة يميل الى النازية وكان انكساره كبيرا بانكسار هتلر ثم صار رمزا وقائدا في الحركة الطلابية عندما تحول الى الشيوعية واطلق عليه (ميرابو) تهكما من قبل الادارة وفصل سنة من الجامعة بسبب اندفاعه اليساري وضايقه الحزب الشيوعي.

أربعون كلمة لا تفصل بينها فوارز ونقاط ، كانت كافية للشاعرة ان تسرد للقراء التاريخ السياسي للسياب. لو كان السياسيون والصحفيون جميعهم من الشعراء لأراحونا من الثرثرة وكثر الكلام. شيء جميل ان يعبر المرء عن ما يريد بأقل عدد ممكن من الكلمات، لكن بشرط ان لا يكون ذلك على حساب الحقيقة. ويبدو لي ان شاعرتنا قد شطحت عن ضفاف الحقيقة. أن يكون السياب في بداياته يميل الى النازية فيه جانب من الحقيقة، أما ان يكون انكساره كبيرا بانكسار هتلر فهنا قد انكسرت الحقيقة. وحتى القول " كان في أول مرة يميل الى النازية " والاكتفاء بذلك قد يؤدي الى تشويه الحقيقة وإساءة فهمها. وحقيقة ما جرى هو ان السياب قد نظم في مطلع شبابه قصيدة أشار فيها الى " الليث الرابض في برلين ". لكن تلك القصيدة لم تكن في مديح النازية وهتلر، بل كانت تعبر عن موقف بدر الغاضب من موقف الحكومة العراقية من قادة حركة رشيد عالي الكيلاني. كان بدر في الخامسة عشر من عمره عندما تم إعدام السبعاوي ورفيقيه، وكان لا بد لحادثة كهذه ان تؤثر على مراهق مثله ، الذي نشأ في عائلة وطنية، فنظم قصيدة هاجم فيها عملاء الإنجليز، وخص بالذكر الوصي عبد الإله، ومجد الثوار واستشهادهم، وقد ورد فيها :

رجال أباة عاهدوا الله انهم
مضحون حتى يرجع الحق غاصبه
أراق عبيد الانجليز دماءهم
فيا ويلهم ممن تخاف جوالبه
أراق ربيب الانجليز دماءهم

ولكن في برلين ليثا يراقبه

هذا كل ما كان يجمع بين بدر والنازية. ويمكن القول ان موقف بدر في هذا الشأن لا يختلف عن موقف الكثيرين في العالم العربي (وبينهم سياسيون محترفون وحركات سياسية قومية، مثل رشيد عالي الكيلاني في العراق والحسيني في فلسطين، وغيرهم) الذين انطلقوا في تقييم ألمانيا النازية، لكونها في حرب ضد الدولتين الاستعماريتين – إنكلترا وفرنسا – وذلك حسب القاعدة المشهورة : عدو عدوي صديقي... وجدير بالذكر ان كلام الشاعرة قد وجد صداه بسرعة على أحد مواقع الانترنيت، ولكن بعد ان تحولت عبارة " كان في أول مرة يميل الى النازية " الى عنوان بالخط الأسود العريض : " السياب نازي "، وذلك في مقال للكاتب أيمن حبيب العمر، والذي تناول فيها المقابلة الصحفية المذكورة... والفرق كبير جدا بين أن يكون المرء " يميل " الى النازية وبين ان يكون نازيا. ومن المقابلة نرى كيف ان الشاعرة تعترف بأنها كانت " تميل " الى الأفكار الشيوعية والديمقراطية، لكنها لم تكن منتمية للحزب... أما القول بان انكسار السياب كان كبيرا بانكسار هتلر فهو قول عجيب غريب، ويثير التساؤل . ما بين قصيدة بدر المشار اليها وانكسار هتلر أكثر من أربع سنوات ولكنها مرحلة في غاية الأهمية في حياته، حيث انتقل خلالها الى بغداد، وأوشك على إنهاء المرحلة الجامعية، ونضج فكريا وسياسيا. وفي الحقيقية لم يتطرق أحد من الذين رافقوا بدر في تلك المرحلة الى علاقته بهتلر. والشاعرة تذكر في معرض ذكرياتها التي نشرت على أحد مواقع الانترنيت، ان لقاءها الأول مع بدر كان خلال السنة الدراسية ١٩٤٧ – ١٩٤٨، وآخر لقاء لهما كان في ١٩٥٠. في حين ان هتلر قد انكسر قبل ذلك بفترة طويلة، وكان بدر قد حسم أمره وانظم الى صفوف الحزب الشيوعي منذ عام ١٩٤٥. الإشارة الوحيدة عن النازية خلال الدراسة الجامعية جاءت على لسان صديق السياب، الأستاذ محمود العبطة، وهو يتحدث عن بدر خلال السنة الدراسية ١٩٤٤ – ١٩٤٥:

" كان هادئا وديعا ولم يرتفع صوته في هذه الأيام عندما كنا نتراشق ونتلاسن وننقسم الى معسكرين: منا من يؤيد الحلفاء ومعسكر الديمقراطية، ومنا من يمجد النازية وهتلر. واذا ما احتدم النزاع – وكثيرا ما يحتدم – يستأذن في الذهاب الى القسم الداخلي من الدار تاركا النزاع وأهله ". وقد أشار السياب الى تلك الجلسات في مذكراته " كنت شيوعيا ".

اذا كان آخر لقاء بين الشاعرة والشاعر في عام ١٩٥٠ فلا بد ان يكون تحول السياب ضد الشيوعية قد حدث قبل ذلك. ولكننا نعلم ان السياب واصل نشاطه في صفوف الحزب، لسنوات عديدة بعد هذا التاريخ، وساهم بانتفاضة تشرين عام ١٩٥٢، وهرب الى إيران والكويت، ولم تنقطع علاقته بالحزب بعد عودته من منفاه ثانية. بل سافر الى بودابست لحضور المؤتمر العالمي للشبيبة. أما بشأن محاولة تسييس وأدلجة شعر السياب، وبشأن قلبه الدامي بسبب تلك الأدلجة فهو أمر لا يمكن البت به. لم يحصل للسياب ان تحدث حول هذا الجانب، حتى في أوج مواقفه المعادية للشيوعيين، التي ادعى فيها انهم كانوا يغرونه بالملذات... قد يكون بعض ما ذكره المفكر والقائد الشيوعي اللبناني البارز كريم مروة عن المجالس الثقافية التي كانت تعقد في دار المرحوم محمد شرارة، والتي كان يحضرها في الغالب الشيوعيون و " أهل اليسار " – على حد تعبير مروة – ما يساعدنا في تلمس حقيقة الأمر، خاصة وان مروة يتحدث عن تلك السنوات.

" وكانت أكثر لقاءاتي به في منزل الأديب محمد شرارة الواقع في منطقة الكرادة الشرقية، وكانت تحضر معظم تلك اللقاءات الشاعرة لميعة عباس عمارة، وكانا يتبادلان قصائد الحب، التي كان فيها بدر أكثر صدقاً من لميعة، وهو الأمر الذي كان يجري تداول الحديث عنه بين أدباء تلك الحقبة. وحين يقرأ قصائده، يفيض مشاعر، إلى الحد الذي كان يوحي للمستمعين إليه وكأنه يقدم إليهم اعترافاً بلغة الشعر يطال ما كان يجيش في داخله من أحاسيس لا يطيق أن تبقى كامنة، ولا يجرؤ على الجهر بها بالكلام المباشر... ". وقد أشارت الى هذه الأمسيات

مؤخرا السيدة بلقيس شرارة في مقدمة كتاب الأديبة الراحلة حياة شرارة " اذا الأيام أغسقت "، وذكرت اسم السياب ولميعة ونازك الملائكة، والبعض من رجال الفكر اليساري في العراق...

ويتابع الصحفي أسئلته، ليعرف ماذا كان موقف بدر من محاولة تسييس شعره، وتواصل شاعرتنا إجابتها بتلقائية ورهاوة ما بعدها رهاوة، وكأنها تتحدث عن أكلة سمك مشوي على ضفاف الهور في العمارة :

– وكيف كانت ردود فعله؟

× – " كانت ردود فعل شاعر واستغلت الجهة الثانية هذا الاختلاف وغذته ".

– ولكنه كان مندفعا نحو الشيوعية بادئ الأمر؟

" كان اندفاع شاعر وليس اندفاع سياسي منظر والشاعر عرضة للتقلب ومن الخطأ جدا ان ينتظم الشاعر في حزب هذا ما قلته قديما واقوله حديثا ". عجيب أمر شاعرتنا. ففي الوقت الذي تنفي على الشاعر الحزبي حقه في ان يندفع اندفاع سياسي منظر، نجدها تعطي لنفسها الحق ان تنظر. أليس موقفها الرافض لانضمام الشاعر الى الحزب هو قمة السياسة والتنظير ؟

ليس بالضرورة ان يكون جميع المنتمين الى الحزب من المنظرين السياسيين، وليس الشاعر لوحده عرضة للتقلب... ثم لست أدري لماذا يلجأ الكثيرون الى مثل هذا التبرير: ؟ الشاعر عرضة للتقلب "، ويلجأ اليه الطرفان: من يريد ان يبرر للشاعر، أومن يريد ادانته... لقد انتمى بدر للحزب كمناضل سياسي وليس كشاعر، وناضل في صفوف الحزب بكل نشاط، ولم يطلق عليه لقب رامبو لكونه شاعر بل لكونه مناضل سياسي. وقد تعرض الى الفصل والاعتقال أكثر من مرة، وهو يعرف مسبقا انه سيتعرض لكل هذا وأكثر. أما بشأن الجزم بان تنظيم الشاعر في حزب سياسي فأمر نترك الاجابة عليه الى الشعراء أنفسهم : من عبد الله كوران وسعدي يوسف، سميح القاسم ومحمود درويش، وألفريد سمعان، ومظفر النواب، والبياتي وعبد الكريم كاصد وهاشم شفيق و...الخ!!

– وأنت ألم تكوني منتمية؟

× – مما يضحكني انني لم أكن منتمية الى أي حزب ولكن كنت وما أزال أؤمن بالديمقراطية فصار الذين كانوا في الحزب يشيعون عني في الأماكن المناسبة وهم يعرفون مقدار تخوف هذه الأماكن ويشيعون أنني شيوعية وصارت ثابتة للجميع.

– وما ردودكم عليهم آنذاك؟

× – كنت اضحك وما ازال دون مبالاة فقد كانت الآراء الديمقراطية الشيوعية معناها التقدمية وغيرنا رأينا في الاشتراكية كلها وتغيرت دول تعتمد عليها وانهارت الشيوعية في محافلها ولا يزال البعض يتحدث بلغة الأربعينيات.

كم كنت أتمنى لو أشاركك الضحك يا شاعرتي الجميلة! ولكني عاجز عن ذلك لأني أشعر بالحزن والأسى ، ليس على الشيوعية التي انهارت في محافلها، وليس لأن الاشتراكية

أصبحت من لغة الأربعينيات، ولكن لأن اللغة التي تتحدثين بها ليست لغة أهل الفكر والإبداع، مع انك كنت وما تزالين في مقدمة أهل الإبداع... أعلم بأنك لست الوحيدة التي تتحدث عن استحالة تحقيق أماني من لا يزال يتحدث بلغة الأربعينيات. فقد سبقك الى ذلك السيد فرانسيس فوكوياما الذي أعلن عن نهاية التاريخ، حين أكد على ان الرأسمالية تمثل " ذروة التطور الأيديولوجي للجنس البشري والشكل النهائي لحكم البشر ".

لم يبدأ الحديث عن الاشتراكية في الأربعينيات، وهي ليست لغة أهل هذا الزمان، بل هي لغة كل زمان، ولغة جميع الرسل والأنبياء والمصلحين الحقيقيين. ألم يخاطب الشاعر العربي الأرستقراطي، أمير الشعراء أحمد شوقي نبي المسلمين بقوله : "

الاشتراكيون أنت إمامهم.. "؟ وجدير بالذكر ان هؤلاء الذين ما زالوا يتحدثون بلغة الأربعينيات هم الذين كانوا يشكلون القاعدة الأساسية لجمهورك من المعجبين بشعرك، الذي كان من بين أشياء جميلة أخرى، تمنحهم الإحساس بالقوة والصمود في الظروف الصعبة القاسية، وتساعدهم في الليالي المظلمة المعتمة على متابعة الحلم بالمستقبل المشرق، وهو الحلم الذي بدأ مع ظهور أول انقسام في المجتمع البشري بين من يملك الثروة ومن لا يملك.. انه الحلم الذي لا ولن يشيخ وينتهي، حتى لو انهارت تجربة هنا وفشلت محاولة هناك...

في صيف عام ٢٠٠٣ حضرت في بغداد مجلس تأبيني أقامته إحدى منظمات الطائفة المندائية تكريما لعشرات الشهداء من ضحايا النظام الدكتاتوري. وغالبية هؤلاء الشهداء كانوا من الذين بقوا متمسكين بأحلام ولغة الأربعينيات، مع العلم ان معظمهم استشهد بعد الثمانينات. اكتظت القاعة بالحضور فاضطر الكثير منا للوقوف لمدة تزيد عن الساعتين... وبالرغم من اللون الأسود الذي طغى على لون القاعة ، حيث النسبة العالية من النساء اللواتي توشحن بالسواد ، وبالرغم من الحزن الكبير الذي طبع وجوه الحاضرين، إلا ان ذلك لم يستطع ان يخفي إصرار هؤلاء وعزمهم على مواصلة المسيرة التي استشهدت من أجلها تلك الكوكبة من المناضلين الذين علقت صورهم في مدخل القاعة، فانطلقت حناجر الجميع لتعلن عن نهاية الاحتفال بنشيد عمره بعمر الوطن :

سنمضي سنمضي الى ما نريد
وطن حر وشعب سعيد

وسيبقى هذا النشيد يصدع مادام هناك وطن اسمه العراق... انه حلمهم، ولن تستطيع كل السيارات المفخخة والقنابل الموقوتة وأساليب القتل على الهوية، والمحاولات المحمومة لتقسيم الوطن على أسس طائفية وقومية ان تمنعهم من مواصلة المسيرة من أجل غد أفضل ووطن أسعد، تكون خيراته ملك لجميع أبنائه...

أعرف ان الأستاذ شامل عبد العزيز، الذي سخر قبل أيام من ماركس والماركسية، ومن أحلامي وأحلام الملايين من الناس سيواجهني بسخريته اللاذعة وبشماتة العارف بكل شيء : " كم أتمنى أن يفيق الحالمون من نومهم وأن ينظروا الى العالم نظرة مختلفة وأن لا يمضي العمر وتنقضي السنون بالاوهام وأخشى أن تستمر المقولة الصينية بانطباقها على الشعوب:::

ولدوا وعاشوا وتعذبوا وماتوا....." . وليس لدي ما أقابل به حجته القوية، وحكمة أهل الصين، إلا كلمات العالم البرت آينشتاين التي قالها قبيل وفاته في عام ١٩٥٥ :

" جزء كبير من التاريخ مفعم بالكفاح من أجل حقوق الإنسان، وهو كفاح أزلي، ولن يتكلل بالنصر النهائي أبدا. ولكن أن تكل وتتعب من هذا الكفاح فهذا يعني نهاية المجتمع ".

وجدير بالذكر ان هذا الشيخ العجوز الذي شغل الدنيا خلال قرن من الزمن، كان من أشد المعجبين بالحالم الطوباوي الكبير كارل ماركس، لا بل كان هو شخصيا من أكبر الحالمين، ودفعه حلمه الى كتابة مقالته الشهيرة " لماذا الاشتراكية "، في أول عدد من المجلة الماركسية (مونثلي ريفيو)، الذي صدر في آيار ١٩٤٩. وقد دأبت هذه المجلة على نشر تلك المقالة في عدد آيار من كل عام. وقد كبر حلمه الى درجة ان ملفه السري في مكتب التحقيقات الفدرالية في واشنطن زاد عن ١٨٠٠ صفحة، وتضمن العشرات من التهم، كان في مقدمتها انضمامه الى ٣٢ حزب شيوعي ومنظمة يسارية!!!

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير: علي حسين

الاخراج الفني: نصير سليم

التصحيح اللغوي: نوري صباح

طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

WWW. almadasupplements.com

اغني لبغداد

هلا وعيوني بلادي رضاها
وازكى القرى للضيوف قراها
بلادي ويملؤني الزهو اني
لها انتمي وبها اتباهى
لاان العراقه معنى العراق
ويعني التبغداد عزا وجاها
اغني لبغداد تصغي القلوب
والفي دموع الحنين صداها
وان قلت بغداداعني العراق
الحبيب بلادي باقصى قراها
من الموصل النرجسبه ام الربيعين
والزاب يجلو حصاها
الى بصرة الصامدين نخيلا
تشبت من ازل في ثراها
واسكنت نفسي اقصى البعيد
وقلت غبار السنين علاها
فما نسيتني عيون النخيل
ولا القلب والله يوما سلاها
واعرف ان قمر للجميع
ولكنه قمر في سماها

لميعة عباس عمارة

عراقيون
من زمن التوهج